المشى للخلف

قصص

فؤاد حجازي

أدب الجماهير

الإبداع طريق التقدم

كتاب أدبي يشرف عليه:

فؤاد حجازي

المراسلات :

المنصورة – ش د. سيد أبو العينين.

عمارة الفردوس .

جوار مدرسة الشيخ حسنين.

الرمز البريدي ٣٥١١١

ت : ٢٢٤٧١٦٨ / ٠٥٠

فهرسة أثناء النشر
إعداد الهيئة العامة لدار الكتب والوثائق القومية
إدارة الشئون الفنية

سلسلة أدب الجماهير
حجازي ، فؤاد
المشى للخلف ، قصص
فؤاد حجازي
الطبعة الأولى / المنصورة
دار الإسلام للطباعة والنشر ، ٢٠٠٧
٨٤ ص ، ٢١
ترقيم دولى : 977-374-317-9
رقم الإيداع : ١٤٣٥٣ / ٢٠٠٧

المشي للخلف

تأخر صلاح فى النوم ، وتسكع فى الشوارع ، مؤملا أن يكون الأخير فى الطابور ، والا يأتي بعده أحد . وفى انتظار أن تناديه الموظفة ، إذ يمن يقف خلفه، ويكون النداء من نصيبه .

زفر فى ضيق .. هل سيظل واقفاً ، حتى انتهاء وقت العمل ، ، كما حدث فى الأيام الخوالى ، ويضطر للانصراف .

طرد اليأس من نفسه ، وهو يستعيد موقفه من عدة أيام .

كانت الموظفة قد أوشكت على مراجعة أوراق من يقف خلفه ، وطلبت منه أن يسدد الرسوم فى شباك مجاور .

تشجع صلاح وقدم أوراقه للموظفة ، ركنته جانبا ، واستمهلته حتى تنتهي مما أمامها . تأخر الرجل ، فخمن صلاح أنه لم يوفق فى توفيق الوضع فى الإيصال الذى يحمله .

كانت الحكومة قد الغت الجنيه المصرى ، وأصبحت تعطي إيصالات ، بقيمة المرتب لموظفى الحكومة ، وكذا فعلت الشركات والمؤسسات المختلفة . وبالنسبة لأصحاب الدكاكين والحرفيين ، تسدد مستحقاتهم بالخصم من هذه الإيصالات بالكتابة على ظهرها ، وإعطاء إيصالات من أصحابها بالقيمة المستحقة لهم مع صورة من وجهي الإيصال الأصلى، يختمونها من إدارة الحكم المحلى وتكون

صالحة للتداول .

أحيانا يبقى جزء فى الإيصال الأم ، ويكون صاحبه فى حاجة لما يكمل به شيئا اشتراه ، أو خدمة أديت إليه . اشتكى الناس ، فاستجاب المسئولون واصدروا تعليمات لبعض البنوك ، لاستصدار إيصالات بالأجل فى حدود معينة ، تتم تسويتها أول كل شهر ، من جهات العمل .

ومع ذلك لم يخل الأمر من بعض المشاكل ، خاصة أيام العطلات ، أو غياب الموظف حامل الختم ، أو طمس إيصال من كثرة التداول ، ورفض البنك إعطاء ايصال مؤجل لصاحبه .

لكن هذه المشاكل رفعت من قيمة الإيصالات المعتمدة ، والتي لم تتهرا من التداول ، وأصبحت تساوي أكثر من المدون فيها . وتفاءل المسئولون خيرا . اين هذا من تدني قيمة الجنية المصرى طوال نصف قرن مضى ، حتى أوشكت على الفناء .

طالعت الموظفه أوراق صلاح وقالت كأنما تتأكد من الإسم :

- صلاح بشرى .

ورمقته بنظرة ، غاصت فيها حدقتاها إلى الداخل .

دار فى سره .. هل تتيقن من كوني قبطيا أم مسلما .. جازي الله الأقباط فلم يعودوا يسمون أسماءً تفصح هويتهم ، كجرجس وحنا ..

لفت وجهه جانبا .. كان الرجل لم يزل واقفا ، وآتي آخرون خلفه .. نبه الموظفة إلى الوضع ، وقد انتعشت نفسه بالأمل ، ولم يكد يسألها عن المدة التى يستغرقها استخراج جواز السفر الآن ، حتى فوجئ بمن يقف خلفه .

أشارت الموظفة للأخير .

ودار فى باله .. كنا فى الماضى القريب .. وقبل إلغاء الجنيه ، يطبق الإنسان كفه على عدة أوراق مالية ، ويضعها أمامها دون أن يلحظ أحد ، فتُقضى حاجته .. أما الآن ..

كيف يخصم الراشى المبلغ الذى يريده ، من ايصال مرتبه ، وهو يحمل اسمه..!! ليس لنا أن نشكو .. يكفى أن إلغاء الجنيه ساعد على الحد من الفساد .. وجعل الناس تقايض فيما بينها على ما يملكون من بضاعة ، مما اسهم فى القضاء على الركود ، وكفت الصحافة عن الحديث عن السلع الراكدة .

والأهم من كل ذلك هو اختفاء اللهاث وراء المال .. والإنسان الذى فقد انسانيته بسبب الجشع ، سوف يستردها ، فلم تعد هناك عملة يذل نفسه ليحصل عليها .. وسوف تنطلق قواه الروحية .

تطلع صلاح خلفه .. مازال هناك عدة أشخاص ، ناجي نفسه .. متى أكون الأخير .. ؟!

فكر أن يخطف رجله إلى إدارة المرور ويعود .. تعوزه شهادة أمن ومتانة لناقل السرعة الجديد الذى ركبه فى عربته، ويجعلها تسير إلى الخلف فور الضغط على دواسة الوقود ولا ينقل إلى الأمام ، مثل باقى العربات المستخدمة فى مصر الآن . وكان قد تحاذق ، فور عودته من الخارج وترك عربته كما هى، الشوارع الجانبية يخطفها وهو يسير إلى الأمام . فوجئ بمخالفات " السير إلى الأمام " ومعها صورة لعربته التقطتها العيون الالكترونية . وتعلل فى النيابة بناقل السرعة القديم ن مما يوقعه فى السهو أحياناً ، فماجله وكيل النيابة : ولماذا لم تركب الناقل الجديد وكاي غبى سأل :

- ولماذا لا نُغير وضع الكرسى

ضحك وكيل النيابة ، وكان قد تبسط معه ، وبان أنه يعذره لحد ما ، لعودته من الخارج حديثا . فقال :

- يبدو أن عملك فى الخارج أثر عليك .. وماذا نكون قد فعلنا .. ؟!
أن تنظر إلى الخلف وأنت تقود ، يجعلك تبطئ غصباً عنك .
عندئذ صاح وقد أفاق من غفلته :

- وبهذا تتوقف الحوادث التى تسببها السرعة، وتكف الصحافة عما تسميه نزيف الأسفلت .

وعندما سأل عن الوقت ، جاءه رده :

- أي وقت ياسيد .. إنقاذ حياة البشر أهم أم الوقت .

نظر صلاح خلفه . أرجأ الذهاب إلى إدارة المرور . ثلاثة أشخاص ويحل دوره . طرقعت دقات كعب عال على البلاط ، فالتفتت الأنظار صوب محدثة الصوت . امرأة جميلة تهرول ، وقبل أن يتحرك الواقف خلفه ، كانت المرأة قد غطته . ابتسمت الموظفة ، وهزت كتفيها . أشارت للمرأة ، التى سارت بتؤدة.

طنت في راسه كلمات زوجته له بالتريث ، وعدم تجديد جواز سفره الآن . فقد استغنوا عن خدمات شركة المقاولات التى كان يعمل بها فى إحدي البلاد العربية ، وفضلوا عليها شركة تركية . طمأنها انه يستطيع العمل فى شركة أخرى وانه أرسل لجهة عمل بعثت له بقائمة من الجامعات الأجنبية ، عليه أن يحصل على دورة تدريبية من إحدي كليات الهندسة بها فى أحدث أساليب البناء ، إذا أراد العمل لديهم . ولذلك فلابد من تجديد جواز سفره على اي حال للسفر إلى أمريكا أو أوربا ، وانه أرسل لأحد أصدقائه فى الخارج ، وأعد له المطلوب ، وطلب من زوجته أن تشترى ملابس قطنية داخلية مصرية هدية له ، حيث أنهم فى الخارج يفضلونها ، ويتباهون بلبسها . عندئذ شهقت زوجته وقالت :

- واضح انك لست عائشا فى الدنيا .. ادع ربك أن أجد لك شيئا سوريا أو تونسيا .

زاد الطابور عدة أشخاص .

اقتربت الساعة من الثانية بعد الظهر ، والموظفون على وشك الانصراف. هل يغادر ويقضى ساعة فى التمرين على المشى للخلف ، تكون زوجته أثناءها قد عادت من عملها واعدت الغداء . وبالمرة يعرج على مدرسة ابنتيه ، لتصحبانه فى التمرين وإن كان لن يسلم من ضحكاتهما الساخرة لتعثره فى المشى . ابتسم .. فهو فى الحقيقة يستشعر متعة صافية من وقع ضحكاتهما وتعليقاتهما . قطب وقد حامت فى الجو كلمات زوجته :

- البنتان كبرتا . . وفى حاجة إلى أب فى هذه السن الخطرة .
- أجلس بجانبك امص أصابعي .. ومن يجهزهما حين ياتي عدلهما ..؟!

اشعل سيجارة .. اليوم مباراة هامة بين قطبى الكرة المصرية — الأفضل أن انصرف الآن والحق بها .. وطاف فى ذهنه ما قراه لأحد الكتاب .. أنه لكي نلعب كرة قدم مجدية .. الا نلعب للخلف .. ويوم نلعب إلى الأمام ونكسب أرضاً ، سوف نحقق البطولات .. كيف كنت معجباً بهذا الكاتب .. وكيف خال عليّ هذا الراي .. وكيف لم يلفت نظر هذا الكاتب كثرة التمرير بالكعوب التى تنتزع آهات الجمهور ..؟!

تأفف الواقفون وهم ينظرون إلى الدخان المتصاعد . جذب نفسا عميقا ، وسحق

السيجارة بإحدي قدميه .. لا .. لم يعد الجو يطاق ..

فلأقم بالتمرين .. اما المباراة فيمكنني اللحاق بشوطها الثاني ونحن نتناول الغداء .. فلم يعد مقبولاً أن اسير فى الحارة اليسرى من الطريق ، التى خصصها رجال المرور للأجانب وكبار السن ، ولمن هم مثله ، من العائدين حديثا من الخارج ، كان يشعر بالخجل وهو يسير فى هذه الحارة .. كما انتقلت إليه عدوي الخوف من زوجته .. كانت خائفة أن يظنوه من جماعة " أصدقاء الطريق " ويقبضوا عليه . فلم يعد سرا أن أعضاء هذه الجماعة ، يدعون إلى المشى إلى الأمام .. ويرسلون بعض رجالهم بين حين وآخر للمجاهرة بالمشى فى هذه الحارة ، ويعرضون أنفسهم للقبض عليهم . واستغل احد اقطابهم جو الحرية الذى ننعم به ، وعارض طبيبا نفسيا مشهورا ، فى لقاء تليفزيوني .. عندما قال أن مرض الاكتئاب على وشك الاندثار ، فمشى الناس ورؤوسها ملوية إلى الخلف ، جعلها تمشى ببطئ .. ولا تسرع للحاق بشئ.. ففى الماضى كان عدم اللحاق – احيانا – رغم الإسراع يولد إحباطاً .. يكون هو البذرة الأولى للاكتئاب .. ولم يعبأ الطبيب بتشكيك المعارض فى إحصاءاته ، وقال أن دأب المعارضة هو التشكيك فى كل شئ ،وتحداه أن يشكك فيما اعترفت به المحافل الدولية من تدني الإصابة بمرض السكرى والقلب عاماً بعد عام ، فالمشى البطئ قضى على التوتر والضغط النفسى ، اللذين يسببهما اللهاث .. وهما بدورها الخلفية المثلى لانتشار المرضين .. السكرى والقلب .

تسربت إلى القاعة صيحة استحسان جماعية من مقهي قريب ، فأدرك أن المباراة بدأت . كيف غفل الكاتب الذى دعا للعب إلى الأمام عن سر كثرة اللعب بالكعوب .. ؟!

كان قد هم بامرأته ، احتضن ساقيها فى صدره .. فجأة ضغط قدميها. نتوء فى كل كعب .. إذن فلم يكن يتوهم عندما لحظ ذلك فى قدميه .. أراد أن يتأكد من مشطي قدميها .. لكنه خشي أن ينصرف عما هو فيه .. احس بتململها ، وقد أحست برهافتها انصرافه عنها ، وبدلاً من المعاودة ، وقد ادرك لبرهة ، انه لن يستطيعها ، مد يديه إلى أصابعها ، وتأكد له انها تنكمش ، وأن قدميها تتمددان إلى الخلف .. باخ وهو ينزل ساقيها ، وحار كيف يبرر توقفه . لكنه لم يستطع أن يفتح فمه ، خاصة وقد احسها خجلى لخجله الذى بالتأكيد ظنته ، وخشى أن يوقد

النور ، فلم يكن يستطيع النظر فى وجهها .. وخشى ان يترك الغرفة سابحة في الظلام .. فربما ظنت انه سيعاود الكره . مغادرة الغرفة هي الحل الأمثل .. مشى بحذر دون أن يتطلع إليها .. وكان يحس بعينها تتابعانه وقد اعتادنا الظلام ، وكانت ما تزال ممدة عارية ...

ناولها غطاءً لتستر جسدها .. فهي رغم العشرة الطويلة ، مازالت ترفض ان يمارس معها فى الضوء ، ولا تريده أن يراها وهي تفلت بعض الكلمات ، هل مازال حياؤها يدفعها إلى ذلك ، أم أنها تخشى أن يلحظ ما يحدث لقدميها ..

وعزم على تهدئة روعها ، فما دام هذا يحدث له ولها ، فلابد أنه يحدث لكل الناس .. ولكن الذى لن يستطيع ان يحدثها عنه .. هو ما لاحظه من انكماش فى عضوه وبروز نتوء أسفل عموده الفقرى.. وعندما أبدى هذه الملاحظة لأحد أصدقائه، أخبره أنه يحدث له نفس الشئ ، وقتها سرت رجفة ، فى بدنه وقال لمحدثه هل ستكون الممارسة مستقبلاً أن تقف المراة خلف الرجل .. وعندما حمل تساؤله إلى احد الأطباء العاملين فى مشروع تنظيم الأسرة ، لم يبد الأمر مستغربا لديه .. بل ضحك وقال انهم يدعون الله صباحاً ومساءً .. أن يتم هذا التحول بسرعة .. فالممارسة بهذه الطريقة .. ستجعل الإيلاج صعبا من جهة وسطحيا من جهة أخرى ، وبهذا تقل فرصة الحمل .. ونوفر مبالغ طائلة نصرفها للحد من الإنجاب .. وسيوفر جهد الأطباء والعاملين فى هذا المشروع لما هو أهم .. وأخبره أن قرى كاملة فى الصعيد قد تطورت بسرعة أكبر .. وأن سكانها توقفوا عن التكاثر - . وأن هذا يبشر بخير كثير . وأنهم يدرسون حالياً سبب تطور الصعيد بسرعة أكبر من الوجه البحرى .

صيحة استحسان جماعية ..

فليؤجل التمرين إلى الغد .. يكفى ما فاته من المباراة .

وأمام بيته ، كانت امرأة تسد المدخل ، تأخذ بيد طفلها ، وتقول فى تؤدة :

- تاتا .. تاتا .. ارجع العتبة .

لن تستطيع معي صبراً ..

طلب وكيل الديوان من رئيس المدينة أن يصحبه فى جولته ، ليتعلم من حكمته.

- لن تستطيع معى صمتا .
- أعدكم بألا اتكلم عما أراه .

شاهدا سفينة تقف فى الميناء . عمال يفرغون حمولتها فى نشاط . عربات نقل تستعد للتحرك . وقبل ان ينتبه لوجودهما أحد ، التصقت عبوة ناسفة بجانب من السفينة . وصاح رئيس المدينة مكبراً ، فابتعد الجميع . ودوى انفجار هائل . ترنحت السفينة كأوزة مذبوحة ، وشرقت بالمياه بينما سخط العمال ، وسب سائقو العربات ولعنوا يومهم الأغبر .

- سيدى .. لماذا ..

عاجله رئيس المدينة غاضبا :

- ألم أقل .. انك لن تستطيع معى صمتاً .

قابلا رجلين يقتتلان ، أحدهما مصري والآخر إسرائيلي ، والناس حولهما في لة ، يشدون أزر المصري ، وبعضهم يلكم الإسرائيلي خفية ، بينما اكتفى آخرون بنثر السباب . وفى غفلة من الجميع تظاهر رئيس المدينة بمساعدة المصري وطعنه بخنجر استله من بين طيات ثيابه ، وتسلل مع صاحبه منتهزاً الدهشة والذهول اللذين عما الجميع .

ارتعش بدن وكيل الديوان ونفرت عروق رقبته ، وقال متلعثماً :

- سيدي .. مهما قلت لى .. فلن أصدق ما حدث ؟
- ألم اقل لك .. أنك لن تستطيع معي صمتاً .

قابلا صيادين يتشاجران حول جدار يسد منفذ مزرعة سمكية . احدهما يود هدم الجدار ليسمح لماء البحر بالنفاذ ، والآخر يود الإبقاء عليه لحجز ماء البحر .

كبّل رئيس المدينة يديْ أحدهما بقيد حديدي وأمسك معولاً وجعل يهدم الجدار.

قال وكيل الديوان :

- إنك بهذا ..
- ألم أقل .. أنك لن تستطيع معي صمتا

وفى الديوان قدم الوكيل استقالته فطلب منه رئيس المدينة أن يتروى قليلاً. وإزاء التساؤلات التى لمحها على وجه الوكيل ، ولعدم رغبته فى عمل جلسة لأعضاء الديوان لعرض الاستقالة عليهم ، قال :

- كانت السفينة محملة بمصنع لغزل الكتان ، ولما كانت المنطقة الحرة تحوي الكثير من القماش والملابس الجاهزة فما حاجتنا للغزل والعادم الذى يضر بصحة العمال .. ثم لماذا نقلل من أرباح التجار ما دامت فى الحلال ..

أما المقتتلان فمعروف أن المصرى فرعون إذا تركته ينتصر على عدو سيتفرعن ويصبح سيداً له صولجان .

- ولهذا هدمت الجدار ومنعت السمك الصغير من النمو .
- ياللحماقة .. ما حاجتنا لبضعة كيلوات من السمك .. دع ماء البحر يجرى .. غداً نعمق قاع هذه المزرعة .. ونقيم فيها مرساة لسفن الأجانب .. أي أموال ستتدفق علينا ..

وقهقه منتصراً وهو يلحظ التغير على وجه وكيل الديوان الذى بادر بالاعتذار وسحب استقالته .

◆ نشرت هذه القصة مع سبع قصص اخرى بعنوان " الصعيدي التائه " فى نشرة طبعت بطريقة الماستر باسم " آفاق ٧٩ " اشرف عليها الفنان التشكيلي محمود بقشيش . ونشرت هذه القصص مع قصص أخرى فى كتابى " النيل ينبع من المقطم " عام ١٩٨٥ فى سلسلة " مواهب " عن وزارة الثقافة ، بعد أن استبعدت قصة " أمن الذئب " ونشرتها منفردة للطلائع . واكتشفت موخراً أن هذه القصة " لن تستطيع معي صبراً " ، لم تنشر فى الكتاب " .

جُبران خاطر

وقف بباب المقهى . دار بناظريه ..

يسار الباب ، حذاء الحائط ، مصطبة أمامها ترابيزات . بعضهم فى غبشة المغرب يتيقن من أرقام قطع الدمينو . القائم على المكان ينتظر دخول الظلام قبل أن يشعل المصباح ، حتى لا يبيت الذباب ويطن طوال الليل حول المقاعد ..

يمين الباب ، لم تبن المصطبة من الجالسين عليها .

إلى الركن القصى ، حول رأسه ، وجده يشد من غابة الجوزة ، تلاقت العيون. قبل أن يبادره بالعتاب ، نحي الغابة وقال :

- سُهَا على .

طيب خاطره :

- لم يهن علىَّ ، اذهب دونك .

قبل أن يحتج جلساؤه ، قال :

- لا تصبوا الشاى حتى أعود .

سبقه بخطوة . رفت ابتسامة على جانب فمه . هي اللحظة بالضبط . حصل على شهادته العليا . الجميع فرحون به . كاد يضحك ، حين تراءى له حذرهم . يرافقونه فى المسير ، خاصة فى الليل . كمن فى نفسه . يطق حوله الشرر ، المنبعث من عيني امه ، تستعجله لتقيم مأتماً لأبيه . ولم يسمح لأي حديث ، بهذا الشأن أن يتصل

بينهما ، حين يتردد على البيت وسط النهار ، فلم تعد الزراعة تحتاجهم جميعا ، ولا حتى فى موسم الجنى .

ولم يصغ لترهات نفسه ، ولبد كثيراً بين أعواد القصب ، حتى حفظ خط سيره. هي اللحظة اذن . نصحوه بالانتظار حتى يتزوج أو يخطب . تكون الواقعة أنقح . نظر فى عيونهم . ومتى يتزوج . هل سيجد عملاً ، وزملاؤه المحاسبون، شكا رواد المقهى من صخبهم . والمهندسون ، عمل بعضهم مدرساً للحساب فى الابتدائى ، بالمكافأة، والأطباء عمالاً فى المقاهي السياحية ، وآخرون ينتظرون ، هل ينتظره ، حتى يشكو كرسى المقهى من جلسته ، ويكره حياته فآتى أنا وأريحه منها . هي اللحظة اذن. دخلا حقل القصب . داست أرجلهما فى الجفاف . أحدثت أذرعهما خرفشة بين زعازيع القصب التى اصفرت.

أشار له بعينيه نحو الطريق . مد يده تحت جلبابه . أخرجها وصمتا ، الهواء يتخلل زعازيع القصب . فيميل بها .

دخل الظلام تماماً . شئ يحف بالطريق . دار بجنبه ناحية الصوت . ثبت الكعب فى مزنق كتفه . كتم أنفاسه وأطلق . وضعها تحت جلبابه . خرجا من القصب فى خطو ثابت .

سار بجواره ليوصله إلى بيته . اعترضه بيده . أشار برأسه ناحية المقهي . أولاه ظهره . وتذكر أن شايه على وشك أن يبرد .

الشمـــــوخ

وقف فى مطلع شارع المذبح ..

اصطفت على الجانبين عربات اليد ، كروش ومعَي ورؤوس الحيوانات مركونة على حواف العربات وقد بانت أسنانها ، وغابت نظرات عيونها ، وأصبحت رؤيتها صادمة . الحوافر السوداء والكوارع البيضاء، المنزوع عنها جلدها . الوسخ المتخلف عن التنظيف ، به بقع صفراء ، متناثر على أرضية الشارع . طشوت ممتلئة بماء اسود لونه . وثمة امراة ، شعرها الأكرت الطويل تركته كيفما اتفق ، ووضعت فى جانب موقداً مشتعلاً ، عليه قدر من الماء ، تقلب فيه بعصا مقشة ، يتصاعد منه بخار ، وتتصاعد معه رائحة نتنة ، لم تطقها نفسه . فمال إلى مقهي وجلس .

عيناه ترقبان رجال النظافة . أصدر تعليماته للملاحظ :

- لا استثناء . جميعهم إلى الموقف الجديد ، خلف المذبح .

طنت فى أذنيه كلمات مساعده المقرب (نفوس الحيوانات تتأثر ،مثل بنى أدم بالضبط)

تساءل فى خاطره ك هل جُرد الجزارون من الرحمة .. يجعلون الحيوانات ترى هذه المناظر .. ومتى .. وهي مساقة إلى الذبح .

فعلا .. المساعد عنده حق . هذه المناظر ، لا تغير الدم فقط ، لكن تغير طعم اللحم أيضا . وقف بباب المقهي ، محاذراً ، أن يغيب الشارع عن بصره ، وحتى يراه

العمال فلا يتكاسلون . لفت نظره ، غدو ورواح الجزارين ، بين المذبح والمقاهي المجاورة ، بعضهم ارتدوا الجلابيب وشبكوا ذيولها فى أحزمة فى الوسط ، فبانت سيقانهم رفيعة معروقة ، وتدلت سكاكينهم فوق ألبسة بيضاء تغطي ركبهم . وبعضهم لبسوا بنطلونات وسكاكينهم مدلاة من جنوبهم . وهؤلاء وأولئك تناثرت بقع الدم فوق ملابسهم . أضمر فى نفسه ، أن يجعلهم جميعا ، يرتدون البنطلونات ، وأن يهتموا بمنظرهم ، وأن يخفوا أسلحتهم .

نظر فى ساعته ، أومأ لمساعده المقرب ، ليذهب إلى المذبح ، أوصاه أن يتأكد بنفسه أن عجلا لا يرى آخر ، وهو يتدفق منه الدم ، ولا يسمع خواره عند النهاية . وأن يرتب من يثق به ، ليشرف على ذلك مستقبلاً ، وكادت عيناه تدمعان حين تذكر إجابة البيطرى على سؤاله : لماذا اختفى شموخ اللحم البلدي ، أن السبب نفسى .

وعندما رفع حاجبيه دهشة استمر : لم تر البهائم عند الذبح . إذا رأت إحداها الأخرى وجسدها يحط وسمعت خوارها ، الذى يتحول إلى زفرات تجاهد فى الخروج، كأنما من أنف مسدودة . انبعثت منها نظرات حزينة ، مستسلمة ، كأنها إنسان عرف نهايته المحتومة ..

لم يتركه يكمل كلامه ، وقاطعه : وهذا بالتأكيد يغير من طعم اللحم .

نهض ، فقام رجاله حوله . تمشى فى الشارع قليلا ، وقد شبك يديه خلف ظهره . انبسطت أساريره ، فتبسم رجاله . سرعان ما عبس، فوشت نظراتهم بالتوجس . قال:

- الروث ، وبقع الدماء .

هرول أحد رجاله ، وهو يقول :

- حالا .. فرقة من الكناسين .

عاد إلى المقهى . هدأ باله قليلاً وتساءل : هل يتغير طعم اللحم حقاً .. لماذا وافق وعزمهم .. اعترف لنفسه ، أن الذنب ذنبه . فاللعين لم يورطه . هو الذي قال ، على رؤوس أعضاء الديوان ، أثناء رئاسته للجلسة : " تمن على " . أراد أن يرد بعضاً من دينه عليه ، فكثيراً ما أنقذ جريدة الديوان من الإفلاس ، بإعلاناته ، التى كانت تأتي دوما فى الوقت المناسب . لكن يبدو أن اللعين ، لم يأخذ الأمر على هذا النحو. وكأنه لم يصدق ما سمعه ، لمعت عيناه ، ودار بهما على الوجوه المستطلعة ،

وقال فى تأن يقطر خبثاً " ما رأيك فى عزومة على لحم له رائحة زمان " .

استفسره بعض الحاضرين ، فأضاف " لحم بلدي له شموخ .

نسى ، وهو الحذر ، ما يُنصب له ، وجرى ريقه وقد استعاد طعم اللحم، وتصاعدت إلى رأسه رائحته ، التى كانت تتخلل نغاشيشه ، عندما كان صبياً ، يلعب مع الأولاد فى الحارة ، ويسمعون بالقرب من الظهيرة ، طش اللحم فى طاس التحمير .

الآن يشترى أنواعاً من اللحم ، وعرف أن كل قطعة فى العجل لها اسم ومذاق ، ولها طرائق مختلفة فى الطهى ، جربها طاهيه ، بحذق ، وخبرة ، وأبدا .. أبدا .. لم يحصل على ذلك الطعم ، ولا انبعث ذلك الشموخ الذى كان يجعله ينسف ما أمامه من طعام ويكون مستعداً لمناطحة جبل .

لماذا تخلى عنه حذره .. ؟!

هل .. لأنه ، كثيرا ما تمنى أن يتذوق هذا اللحم ، لعله يستعيد شهيته. أم لأنه لا يستطيع أن يرفض له طلباً .

قال بغتة ، كمن تذكر أمراً :

- القمامة .. القمامة على نواصى الحارات ، المطلة على الشارع .. ينبه على الناس أن تكون أمكنة إلقاء القمامة فى الجهة الأخرى .

وبينما سارع أحدهم ، لتنفيذ تعليماته ، قال لمن حوله :

لا أريد شيئا فى طريق الحيوانات ، يؤذيها ، ولو للحظة ، هل تتصورون ، ما يحدث لها حين ترى هذه الأكوام ، التى يجعل الحر لها رائحة منفرة ، والذباب يطن حولها ، ويحط على عيون الصغار . لم يكد يتفوه بكلماته ، حتى استرعت أسماعهم ، فرقة تدق الطبول ، وتلعب بالآلات النحاسية .

أطل رواد المقهى واندفعت النسوة والصبية من الحارات ، ووقف الناس فى شارع المذبح يستطلعون الأمر .

تنفس بعمق ، وابتسم ، حين رأي المفاجأة على وجوه رجاله . رقص الصبية على إيقاع الطبول ، وزغردت بعض النسوة ، أشار بيده لقائد الفرقة ليذهب بالقرب من باب المذبح . عندها تأكد رجاله أن الأمر من تدبيره . أما هو فقد عجب من دهشتهم، فالأمر كثيراً ما كان يحدث فى الصغر ، يزفون الجاموسة العجوز فى

الشوارع قبل ذبحها ، كي يقبل الناس على شراء لحمها " بكم يا أولاد فيردون "الأقة بقرش" والحيوان اللحيم ،مزدان بالزهور الصناعية حول رأسه ، وقد خططوا جسده باللون الأحمر . والنسوة والصبية والأطفال يحيطون به كأنهم في يوم عيد .

ترى .. هل يستعيد الجو المرح ، طعم اللحم في الزمن الفائت .

قلب الأمر في عقله ، على مختلف وجوهه ، ندت عنه آهة ، واستفسر من أحدهم عن العليق . لم يسترح تماما لطمأنته له ، وحذره :

- ساعرف عندما أتذوق اللحم .

سبق ان نبهه أحدهم ، أن سبب تغير طعم اللحم ، وعدم وجود رائحة تفتح النفس لحسائه ، هو نوع العليق ، وذكره بطعم اللحوم المستورد ، المختلف تماما عن طعم لحمنا ، لأن العليق مختلف ، وحساؤه تعافه نفوسنا ، ولا يمكن لأحد أن يفت فيه.

أوصى بعليق من الناتج هنا ، لكنه أحس بالقلق ، حين ألمح له مسئول الزراعة بالديوان ، أن التسميد والعليق ليسا كالسابق وأن لهذا أثره . واشتد قلقه عندما أردف المسئول : وحتى لو ولفنا عليقا مناسبا فسوف يلزم عدة أجيال ، حتى يظهر الأثر .

عدة أجيال .. وماذا عن العزومة .. ؟ إذا أخذنا بهذا الكلام ، فلن تكفى تغذية عدة أسابيع .

أمر رجاله بالعمل — سرا — بتحضير نوع من الحساء ، به نكهة مثل شموخ اللحم البلدي يسلقون فيه اللحم . ودفع ببعض المسنين من خلصائه للتذوق في المعمل ، حتى إذا ما راقت لهم نتيجة اعتبروها مرضية ، عرضوها عليه .

وعصف به القلق ثانية ، فالنكهة لا تنبعث من اللحم ، عندما يحمر ، أو يُعد بطرائق مختلفة . حين أوشك أن يستسلم لليأس ، واتته الفكرة ، تحويل المستحضر إلى مسحوق يرش على اللحم بعد إعداده .

وهو ينصرف ، لم يكن بحاجة لأن يوصى مساعديه ، بالاهتمام بالقطعية المطلوبة .. وإن كان موقتاً ، أنه سيوفق بفضل المسحوق ، وسيرد السهم إلى نحر شيخ التجار . أتراه تعمد حرجي ، لأترك له موقعي في الديوان . وهل من الصواب أن يصارحهم إذا لم تعجبهم النكهة أم يجدونها فرصة للتشهير به . ولماذا لا يعدونها إحدي نوادره ويمر الأمر على خير .

لم يكن واثقا بما سيحدث ، ولولا هيبته فى الديوان ، وخشيته من استغلال غيبته ، لتعلل بمرض وامتنع عن الذهاب ، سمع الباعة ينادون على جريدة الديوان . لمح العنوان الرئيسى ، ابتسم وعقد عزمه . تملى من العنوان ثانية : " لا ذبح بعد اليوم إلا فى جو من البهجة " .

قرر سواء ، كشفوا ما سيفعل أم لا .. ؟ ، أن يصارح شيخ التجار .

نعم .. رب عزومة نافعة ..

من يدرى .. اتسعت ابتسامته ، وقد تراءى له عنوان عريض باللون الأحمر :

"استعادة طعم لحم زمان بفضل مسحوق .. "

مسحوق الـ ..لا .. فليترك الاختيار لهم — حقا يدور فى ذهنه اسم قد يفرقع فى السوق .. ولكن .. لا .. لن يلمح حتى به .. وإلا جاملوه .. ولو حدث ، فهو يعرف نفسه، ستؤنبه دوما ..

بعد المرور

وجد الباب مغلقا بسلسلة حديدية . وحين ظن لوهلة أنه مشبوك فقط ، وجذب السلسلة ، طالعه قفل يضم طرفى السلسلة . رفع رأسه فصكه صوت حشن:

- نعم ..

لوح بيده ، أنه يود الدخول .

- ليس يوم الزيارة

أخرج جنيها من جيبه .

أشار إلى باب حديدي جانبى ، بالكاد تمر منه قامة الإنسان ، وحين جاست عيناه حول قضبان الباب الطولية ، تقطعها فى المنتصف دوائر فى حجم قبضة اليد ، ووضع يده على مقبض لم يطاوعه ، جاءه الصوت لينا :

- حالا يحضر

تململ فى وقفته ، فجاء الصوت باشا :

- ها هو .

ولم يكد يتيقن من القادم . يتبختر فى جلباب ابيض ، نم عن قامة قصيرة ، وقد أزاح إلى الخلف طاقية بيضاء ، حتى فوجئ بالرجل ينتفض كمن غزه أحد بسيخ محمي ، ويسرع نحو الباب الكبير ، ويزعق :

- سكة للبك .

التفت إلى الخلف ، ليجد قامة منتصبة ، تحيط بجزئها العلوى ، جاكتة ذات مربعات كبيرة ، بنية ، على ارضية طوبية . حف به هواؤه ، وسرعان ما فتح الباب ، والرجلان يهرولان بين يديه .

استمر أحدهما وعاد زميله وأغلق الباب ، وقال من خلف قضبانه :

- بعد المرور .

ود لو يخلع جاكتته ، وقد أحس رقبته تنز بالعرق . استوت شمس الضحى ، وانتبه إلى أناس تجمعوا فى جانب من الباب ، أخذوا فى الانصراف بخطوات متباطئة ، والتفت بعضهم نحوه ، كأنما يستدعونه بنظراتهم المتأنية .

تبعهم .. دخلوا من باب العيادة الخارجية . فسحة بها دكك خشبية ، جلس عليها قرويون ، وامرأة لقمت حلمة ثديها طفلها وقد دارته بكف يدها ، وإحداهن غطته بإيشارب ، وأخرى دارت نفسها بنفسها .

مر بين صفى الدكك المتراصة ، فداست قدماه أعقاب سجائر ، وأغلفة عبوات بسكوت مكرمشة ، أحدثت صوتاً فور وطئها ، وأزاح جانبا قوالح ذرة منحوتة .

اعترضه باب خشبى صغير ، فتذكر على الفور ..

كثيرا ما دخل منه إلى قسم البلهارسيا وهو صغير . وفى الجهة الأخرى باب جانبى يؤدي إلى فناء فى المستشفى ، حيث المطبخ .. وبجواره سلم طويل يؤدي إلى الطابق الأول ، ومنه يستطيع الوصول إلى المريض .

تفقد كيس الطعام ، الفاكهة التى يحبها ، وخبز بلدي من الفرن الذى يفضله، وفى كيس بلاستيكي آخر الكتب التى طلبها ، والجرائد والمجلات .. حمل الكيسين بيد واحدة ، ودفع الباب بالأخرى .

مشي كالألف حتى لا يستوقفه أحد . واجهه حائط مكان الباب المؤدي للفناء . هل سدوه أم خانته الذاكرة بعد العمر الطويل . عاد ثانية إلى الباب الذى دخل منه ، فوجد ممرضا يسده وفى يده تذاكر ، ينادي أسماء المرضى ، ويصفهم للدخول إلى حجرة الكشف . تلفت يبحث عن مخرج إلى ممر آخر مواز لهذا الممر فى ظهر غرفة الكشف ..لم يجد بداً من مفاقلة الممرض والنفاذ من غرفة الكشف . تهيأ له أنه رأي هذا الممر من قبل ، بل لعله هو الذى كان يمر منه . مشى حتى آخره . وجده

يفضى إلى ممر آخر يكون معه زاوية قائمة . عرج نحو الممر الجديد وسار . شم رائحة طبيخ . مشى حتى النهاية . عتمة بئر سلم ، أو مكان مصعد مهجور ، لم يكد يتحاشاه حتى تراجع بسرعة ، اختل توازنه وسقط ما فى يديه . وحين اطمأن إلى موقع الكيسين ، تنهد وحمد الله . كاد أن يخوض فى مياه مجارٍ ، أو مياه عطنة . نطر قدميه على البلاط عدة مرات .. التقط الكيسين وسوى هندامه .. نفذ من حجرة الكشف .. اختفى الممرض وأناس فى أردية مختلفة .. من جلاليب .. وبنطلونات وقمصان متواضعة ، يلغطون فى القول . لمح امرأة تشق طريقها بينهم . مرقت من باب جانبى إلى جوار الباب المؤدي إلى العيادة الخارجية .. كيف لم يلحظه من قبل . أم أن الممرض حجبه بترابيزته وكرسيه وتذاكره الطبية . تبع المرأة . افضى الباب إلى حجرة تجلس فيها ممرضات شابات ألقت عليهن التحية ، ولم تتوقف . عجب لجرأتها ، وحاذاها لتظنه الممرضات معها . عبرت المرأة من باب آخر للحجرة يؤدي إلى الفناء . بحثت عيناه عن السلم المؤدي إلى الطابق الأول . سأل المرأة ، رمقته بسرعه وتخطته ، وهو فى أثرها. فى جانب من المطبخ صعدت سلما لصق حائطه . وحين هم بالصعود قابله ممرضان يحملان محفة ، عليها رجل فى جلباب ابيض .

قال أحدهما :

- يدك معنا .

وضع الكيسين فى حجر المريض وعجب .كيف مرقت المرأة والمحفة تسد السلم .

مد يديه وحمل حافة المحفة وتقهقر للخلف ، ولصق الممرض الذى ناحيته ظهره للسلم ، ويده تعاون فى حمل المحفة ، عرجوا بالمحفة إلى جانب آخر من المطبخ . أزاح أحد الممرضين باباً حديدياً قضبانه زجزاجية ، فأسفر عن مصعد . وضعوا المحفة على أرضه فوق بقايا عيدان فجل وجرجير. اعاد أحدهما الزجزاج إلى وضعه الأولى وضغط زراً . تساءل الرجل النائم :

- حضر الطبيب .

قال أحدهما :

- حتى نجهزك للعملية .

استفسر الصاعد معهما عن وجهته . قال أحدهما :

- سنقف فى الدور الرابع . فى مواجهتك طرقة دائرية .. سر فيها حتى المنتصف سيقابلك سلم .. اصعد دورين ، وسرحتى نهاية الطرقة شمالاً. هناك مصعد يأخذك إلى حجرتك .

توقف المصعد . حمل المرضان المحفة ، وبقى هو . نسى الكيسين فى الأسفل ، بعد أن وضعهما بجوار باب المصعد ، وهم يحملون المحفة فى وضع مائل حتى يتمكنوا من إدخالها .

قبل أن يضغط بإصبعه زر الهبوط ، هرول ممرض يدفع محفة فوق طاولة بعجلات ، عليها مريض وأهله يجرون خلفه ، يستفسرون . ضغط الممرض الزر وهو يهشهم بعيدا ويقول :

- ساعة ويفيق .

توقف المصعد ، ودفع الممرض بالمحفة ، خرج ونظر إلى جانبى المصعد فلم يجد كيسيه ، تنبه إلى أنه ليس فى الدور الأسفل وإذا ببعض النسوة متشحات بالطرح البيضاء ، يجرون على الأرض ، ملاءات عليها أكوام من جلاليب المرضى البيضاء ويمنعنه من ولوج المصعد ، وإحداهن تشير إلى آخر فى نهاية الطرقة . أسرع إليه ، انتظر قليلا حتى تعودت عيناه العتمة . مد إصبعه إلى لوحة الأزرار ، فانزلقت ، وإن ظلت معلقة بأسلاك خلفها . حاول تثبيتها ، وهو يخشى أن يمسه تيار كهربى ، دون جدوي . غادر إلى الطرقة ، أبواب مغلقة عن يمين وشمال . لمح بصيصا من الضوء يأتي من بداية الطرقة . أسرع إليه . سلم يفضى إلى أسفل ، والأغلب إلى خارج المبني . وصح ما توقعه . متسع من الأرض نمت به حشائش ، وأمامه مبني مستطيل . اقترب منه ، قرأ فى لافتة على بابه : عنبر النفسية .

اقترب منه شاب يدفع عربة صغيرة أمامه ، عليها بسكوت وعصائر ومشروبات . اشترى علبة مياه غازية ، وسأله عن وجهته . أشار الشاب إلى باب العنبر وقال :

- ا دخل من هذا الباب ، فى نهاية العنبر باب يؤدي إلى جنينة صغيرة ، على يمينها مكاتب للإدارة ، فى نهايتها باب يؤدى إلى فسحة ، إلى يسارها مبني من عدة طوابق ، وعلى يسارك وأنت داخل مصعد صغير يأخذك إلى الطابق الذى تريده .

أطرق إلى الأرض فعاود محدثه الشرح . أوقفه بإشارة من يده وقال :

- لو رآني أحد المستخدمين .

ضحك الشاب وقال :

- لا يسألون أحداً .

عند الباب ، برز له ممرض . وتسرب من خلف العنبر بعض المرضى يقبضون بأيديهم على يد الممرض وفيها المعلوم . لاشك قادمون من جلستهم على الطوار المقابل لباب المستشفى الرئيسى ، حيث تنتشر عشش من الغاب ، يدخنون المعسل ويشربون الشاى .

زنقه الممرض برجله فى جانب من الباب . وحين رفع رأسه إليه مندهشاً ، قال :

- ممنوع .

أسرع بالقول :

- فقدت كيسين عند المصعد وأبحث عنهما

حدجه بريبة وقال :

- أي مصعد .. ؟!

- العمليات .

أشار إلى مبني بعيد . أطلقت رجله سراحه ، وقال :

- هناك

تظاهر بالعودة . وحام من بعيد حول عنبر النفسية ، لعله يجد سبيلا إلى مبني الإدارة . فكر لبرهة بالعودة والبحث عن الكيسين . هل من المعقول أن يجدهما . من يدرى .. ربما سلمها أحد للشرطة .

قدم رجلاً وأخر أخرى .. ابعد عن الشر وغن له .. انتظمت خطواته .. لعل وعسى. وهداه تفكيره أن نقطة الشرطة لابد أن تكون فى المبنى الرئيسى . اقترب من المبنى الضخم الذى يتوسط المكان . رفع نظره إلى أعلى حيث قبة مستديرة . لف حوله حتى وصل إلى بوابته الخشبية المفتوحة . فى جانب منها يجلس رجل بدين على دكة خشبية صغيرة .

- أفندم .

- الشرطة .

بدا عليه عدم الاهتمام وأشار إلى الطرقة المواجهة للبوابة . سار حتى منتصفها .

لفت نظره عسكرى يقف بباب .

- بلاغ .

أوسع له ليدخل إلى الحجرة . طالعه رجل تراجع شعر رأسه حتى المنتصف . وشعيرات رمادية هائشة فى المقدمة . وقد وضع غطاء رأسه على ترابيزة خشبية ذات قوائم غليظة ، تقشر دهانها الغامق فى بعض المواضع . فك أزرار سترته ، فبرز قميص كاكى ، مفكوك الزراير ، أسفر عن طوق متهدل لفانلة سمراء . رمقه بعينين متكاسلتين .

- نعم ..

- فقدت كيسين .

- ماذا أفعل لك .. ؟!

- يا أفندم ..

لماذا لا تنتبهون إلى أنفسكم .. ثم كيف دخلت إلى المستشفى .. ؟!

تنبه أنه ليس فى يوم الزيارة ، فمد يده فى جيبه ، وأخرجها ، وضغط بها راحة يد الرجل فوق الترابيزه فقال فيما يشبه الابتسام :

- يا لهذا النهار الذى لن يمر ..

وحين لحظ حيرته ، استمر :

- أنصحك لوجه الله .. لا مانع من عمل محضر .. لكني سأضطر لاحتجازك بعض الوقت .. وسأسألك عن كيفية دخولك .. وسأسجل رقم بطاقتك وعنوانك .. ربما نستدعيك فيما بعد .

رد :

- استعوضت ربنا فى الكيسين .. فقط أريد أن أصل للمريض ..

- قل هذا من الصبح ..

وزعق :

- يا ولد يا عنبة

جاء العسكرى الواقف بالباب .

- مع الأستاذ .

قال عنبة :

حضرة الضابط على وشك المرور .

- ناد الولد دسوقى .
- فى الراحة .
- وجع فى جنبه .. اسحبه من قفاه من أي غرزة تلاقيه فيها .. وقل له الأستاذ سوف يكرمه . ترددت خطوات عنبة ..
- والأستاذ ليست له بركة إلا أنت .

خارج الحجرة ، طلب منه عنبة أن ينتظر قليلاً ، رثيما يخطر زميلاً له ليقف مكانه ، وهذا موعد مناوبته على أي حال .. شكره وهو يضغط بيده كف يمناه ، ولا داعي لأن يتعب نفسه ، فليدله على المكان ، وسوف يذهب إليه .

انطلق عنبة ، وكأنه ما صدق :

- يمينك حتى نهاية الطرقة ، باب صغير أمامه مصعد .

وحذره من الولوج فى باب آخر إلي اليمين ، يفضى إلى طرقة أخرى ، قد يتوه فيها .

وحين أراد استخدام المصعد ، منعه أحد الممرضين ، مضيفا أنه خاص بالأطباء، يؤدي إلى سكنهم فى الدور الخامس . وأشار إلى مصعد آخر وطمأنه أنه لن يضل ، فهو رجل كما يبدو من سحنته ، متعلم .

صعد إلى الطابق الذى أراده ، وعلم من أحد المرضى أن حجرته ثالث باب إلى اليسار .

كيف سيذهب إليه بيد خالية . على أي حال يمكن تعويض الكتب فى يوم آخر. وكذا والجرائد والمجلات . ولكن كيف يلقاه دون طعام . سأل عن مقصف قريب ، فعلم بوجود واحد فى الطابق السابق ، وأردف محدثه أنه لن يجد فيه سوي البسكوت والشاى .

سأل عامل المقصف عن أنواع البسكوت لديه .

- واحد لا غير .

والقى أمامه بعبوة . وهو يطالع المكتوب عليها ، استعجله :

- خلصنا ..

يكفى هذا .

- كل الإمارة .. وواحد .. !!
- أما قليل الأدب صحيح .
- أنا أم أنت .؟!

أعماه الغضب فضرب بيده على الطاولة . اصطدمت بحديدة مدببة يكسرون بها الثلج الذى يضعونه فى دلاء زجاجات المياه الغازية . انبثق الدم من سيف يده . علق العامل بوقاحة :

- ارموا بلا ياكم علينا .

كتم جرحه بمنديل . وأسرع إلى حجرة ممرضات فى مقدمة عنبر قريب . أخبرته الرئيسة أنها لا تستطيع تضميد جرحه فى القسم عندها ، وعليه أن يذهب إلى قسم الاستقبال . أسرع إلى هناك ، حيث قام ممرض بتطهير الجرح ولفه بالشاش .

- لابد من عمل محضر فى الشرطة .
- ...
- لابد من الإبلاغ عن أي حادث .

ناوله ما فيه النصيب ، أخذه وهو يستغفر الله ، ويشير إلى باب الخروج .

تطلع ببصره نحو الباب الحديدى الكبير ، والناس فى الشارع تتحين فرصة للدخول . تردد بنظره بين الباب والممرض .

سار باتجاه الباب ، خشية أن يغير رأيه ، ويقتاده إلى الشرطة .

الشاهد الثانى

اغمض عينيه . ووقف برهة ، حتى اعتاد الضوء الخافت ، وسأل :

- جلسة ٢٣ فى أي قاعة .

أشار المسئول إلى كشك بجوار الباب ، لم يلحظه عند دخوله . وجد معلقاً خلف واجهة زجاجية ، كشفا بأرقام الجلسات وأرقام القاعات .

وبينما يدقق فى البحث ، سأله رجل قصير القامة ، يميل إلى البدانة :

- الحاج يبحث عن أي جلسة .. ؟!

ضحك فى نفسه ، للقلب الحاج الذى يُنعت به . وقبل أن يفتح فمه عاجله السائل:

- غيروا الأرقام .

ندت عنه آهة واخبره برقم جلسته .

- جلسة ٢٣ فى ٦٧ وليست فى ٥٦ كما هو مكتوب .

شكره ، وأسرع يجتاز البهو ، الذى خاله طويلا .. وهو يخطف نظرات من الأبواب الخشبية الضخمة على الجانبين ، حتى وصل إلى المنتصف ، حيث سلم على هيئة حدوة حصان .. حار .. هل يصعد من يمين أو شمال . ولفت ظره الضوء الذى بدد الظلمه قليلاً أعلى الحدوة . أوقف أحد كتبة المحامين ، يتأبط عدة ملفات . سأله عن قاعة جلسته ، فأخبره أن يتوجه يميناً ، وبعد السلم إلى آخر الطرقة ، وأردف بعد أن نظر فى عينيه :

- لف مع الدوران .

تأكد من رقم القاعة ، ورجا أن يحضر المحامي فى موعده ، وكذا الشاهدان خاصة توفيق . تطلع عبر الطرقة يبحث عن مقعد ، وقد صعبت عليه نفسه . هل سيطلب محامي الحكومة التأجيل ثانية . أم تراه وجد سجل السجن المدون به تاريخا دخوله وخروجه . ولو تأجلت هل يوفق فى ترتيبه ثانية .. الحصول على إجازة .. الحضور من بلدته مبكراً .. وهل ستكون ظروف الشاهدين مواتية .. مات أحد الشاهدين الذى حضر الجلسة الماضية .

عندما أبلغه لم يتردد لحظة .. ابتسم من خلال كَرْشة نفسه ، التي لازمته منذ سجنه ، حيث عاني من القولون العصبى ، كان قد شهد فى قضيته ، وحكم له بتعويض حسده كثيرون عليه .

أحس بمن يحملق فيه . التفت إلى دكة لصق الحائط . قال بفرحة :

- حسونة .. !

وتحاضنا .

- لولا أسنانك المتساقطة لكنت شاباً .

ضحك عبد السلام وتمادى ..

استند بمقعدته إلى حافة الدكة ، حيث أوسع له حسونة . قال عبد السلام :

- هل يحضر توفيق .

- لا تقلق

- لم نكن صديقين .

اتصلت بمن حضرتني أسماؤهم فى الحبس الأخير .. من قضى .. ومن يقعده المرض .. ومن اعتذر لأسباب قامت لديه .. ومن لم أستدل على عنوانه أو رقم تليفونه .

اقترح عبد السلام أن يقف فى الخارج لعله يلقاه ، قبل أن يتوه فى الطرقات ، التى أخذت تزدحم مع توافد المتقاضين والمحامين .

قطع عبد السلام الطرقة الطويلة . وعرج يساراً ، حتى وصل إلى حدوة أعلى السلم . خلفها حجرة المحامين . فكر فى إلقاء نظرة للاطمئنان لوجود المحامي . نحي الفكرة . حادثه بالأمس تليفونياً وأكد حضوره .

أسرع ليلحق بالشاهد الثاني . هل يخطئ كل منهما الآخر . مرت عشرون سنة

منذ غادرا السجن . فكر أن يقف أعلى السلم ، يتفحص الصاعدين ، وبالطبع إذا لم يكن المحامي قد حضر وجاء سوف يلقاه . ربما صعد توفيق من السلم الآخر فى آخر البهو ، يؤدي إلى الطرقة التى بها قاعته . الأفضل أن ينتظر عند باب المبني الرئيسي . أسرع ونزل درجات السلم الكثيرة . وفى البهو عشى النور المتسرب من الشارع عينيه . وقف فى ركن بجوار الباب . أمامه إلى اليمين مكتب وخلفه ضابط شرطة مع بعض العساكر .. أفندية يدخلون ، رؤوسهم مرفوعة ، وفى أيديهم حقائب سوداء . محامون ولاشك . يهرول خلفهم الكتبة بملابسهم غير المتأنقة ، ويضمون على صدورهم وجنوبهم ملفات منبعجة بالأوراق . وينبثق من جوانب البهو رجال ونساء، يسرعون إلى المحامي ، يتفوهون بكلمات .. تحدث لغطاً .. والمحامي يكتفي بإيماءة تحية . فتتلكأ الخطوات عند الكتبة .

أحس بالقلق .. قد لا يلحظه لدخول الناس مسرعين . الوقوف فى الخارج أفضل . مرق من الباب .. بسطة كبيرة .. يتفرع من جانبيها سلمان يؤديان إلى رصيف عريض . حار من أين ينزل . نزل يساراً ووقف فى مدخل السلم ، وقد انحرف بجسمه قليلاً ، حتى يتمكن من رؤية الصاعد من السلم الآخر ، وحتى يعرض نفسه لكل من يحضر .

وقفت عربة أجرة . نزل منها رجل ممتلئ الجسم .. خطواته شابة .. لا .. لايمكن أن يكون هو . عاد إلى وقفته وتساءل .. أحقا لولا الأسنان المتساقطة لكنت شابا .. تجاملني يا أبا الأحسان .. ولماذا تقول المتساقطة .. مجاملة أخرى .. أم تراك نسيت ما جرى لنا فى سجن الواحات الخارجة . وسط الصحراء الغربية ، وأقرب مستشفى فى أسيوط ، على بعد مئات كيلومترات . ولكى تذهب لابد من اجراءات ، وأوراق من وإلى القاهرة ، وحتى تأتي الموافقة ، ويدبرون حرساً ، قل يا منجى . أما تسوس الأسنان ، فمن الذى سيرسلك لعلاجه . أرسل الأهالى شكاوي للمسئولين وإلى الجرائد . بعدها كانت تأتي بعثة من أطباء الأسنان كل ستة أو سبعة شهور ، توقع الكشف على نزلاء السجن . ولم تكن تذكر كلمة الحشو أبداً .. تخلع .. أخلع . حتى شطب على أسنانه تقريبا إما هذا أو الاستيقاظ طوال الليل ، والأسبرين المسكن الوحيد لديهم يأخذه بالماء ولا فائدة ، يدغدغه فوق الضرس ولا فائدة . ويكاد المرء يخرج من دينه .

أحس بالجوع . لم يتناول شيئا منذ الصباح . خشى أن يذهب إلى مقهي قريب ، لتناول بسكوتة مع كوب من الشاى ، أن يحضر الشاهد أثناء غيابه . تقحت عليه اللثة .. من أين له بزجاجة المس الآن . وقفت عربة ، نزل منها رجلان وامرأة . دقق فى الرجلين . أحدهما يشبهه .

تقدم منه لعل الآخر يعرفه . هل تغيرت لدرجة جعلته لا يشعر بوجودي . وإلى أي مدي تغير توفيق . يستعيد ملامحه .. وجهه أبيض مستدير . نظراته مريحة . لم يكن يثير أي مشاكل . العينان .. آه .. كانتا ضيقتين ، خلف منظار طبى .

شعره .. لا يذكره . أتراه أصلع مثلى . أم أصبح كتانا أبيض مثل حسونة . وهل مازالت نحافته مثل نحافتي ، أم أصبح بديناً . اقنع نفسه .. أنه مهما كان تغير توفيق، فسيبقى فيه شئ يجعله يتعرف إليه .

جمهرة تسرع إلى الداخل . آه .. النظرة السريعة لن تمكني منه . تعاظم قلقه وقد خش ان يكون شئ ما عطله . ولم ينجح استعادته لنبرات صوته فى التليفون مؤكداً حضوره ، فى طمأنته .

قبل أن يوافق على الحضور ، أخبره توفيق أنه لم يره فى الجبل يحفر ويحمل الفلق . لكنك كنت معاصرا لى فى الواحات . نعم .. ولكنى مع زملاء عنبرنا كنا نذهب إلى ناحية أخرى من الجبل ولم نلقكم .

كنتم تحفرون وتنقلون الصخور المفتتة إلى مكان آخر . نعم . وبالتأكيد سمعت عما حدث لنا . الأشواك التى أدمت أقدامنا الحافية .. ولدغات الثعابين والعقارب .. مات زميل من إحداها .. وآخر من ضربة شمس . وعندنا حدثت حوادث مشابهة . ولعلك تذكر زميلنا الذى امتنع عن الحفر ، واتقى وهج الشمس بالجلوس مع أحد الحراس الذى صنع لنفسه مظلة بوضع سترته على فوهتي بندقيتين متباعدين . انهالوا عليه ضرباً ، وظل بين الحياة والموت يقاوم جروحه المتقيحة ، حوالى شهر . نعم .. نعم .. أرجوك افهمني .. كيف أقسم أننى رأيت ماحدث لك وانا لم اره.

ساءل عبد السلام نفسه .. كيف مرت هذه الأيام . واستعاد تساؤله وقتها .. كيف تعيش الثعابين والعقارب ، فى مكان لا يوجد فيه ما تقتات به ، بل لا يوجد دليل أن قدماً وطئته منذ بدء الخليقة .

رفع قدمه اليمني ، ووضع ثقله على اليسرى ، واستند بظهره إلى الحائط .

وتخطا ببصره عرض الشارع . طالعه المتحف الإسلامي ، إلى يمينه دار الكتب القديمة . مبني عال مازال يحتفظ بلون خطوطه العرضية الحمراء ، بينها خطوط صفراء تحولت مع القدم إلى لون أشعة الشمس الهادئة. وبان المبنيان منفصلين عن الحركة فى ميدان باب الخلق . عربات الترام تتراقص فى الطريق إلى شارع القلعة . عربات أجرة متوالية . باصات مزدحمة .

سحب بصره بسرعة إلى الصاعدين والهابطين من سلم المحكمة .

غير وضع قدميه ، وأقنع نفسه بالانتظار عند باب القاعة . خشى أن يمل حسونة فيذهب ، أو يحاول قطع الوقت ، فيتسلل إلى منصة لصنع الشاى فى الدور الأرضى.وربما فى هذه الأثناء تُنادي القضية ، فلا يجد المحامي أحداً . وعلى أي حال فتوفيق ليس صغيراً ، ويمكنه السؤال والوصول إلى القاعة .

سار إلى الداخل ، استرعت انتباهه أعمدة مستديرة ضخمة ، رفع رأسه يرى نهايتها ، فعجب لعلو السقف . وفى الدور الثاني لحظ ارتفاع الحيطان . وضخامة أبواب القاعات . وحين أبصر حسونه يتمشى فى الطرقة ، وقف يلتقط أنفاسه .

- ألم يحضر ..

هز رأسه نفيا .

وانبثق من رأسه سؤال :

- هل تزوج .

ابتسم حسونة ، وقال :

- فى حدود علمي .. لا ..

ثم لم يلبثا أن غرقا فى الضحك ..

فحسونة كلما اهتدي إلى بنت الحلال ، حدث ما جعلهم يقبضون عليه . أما عبد السلام فقد قبضوا عليه فى المرة الأخيرة ، عشية يوم كتب كتابه . وحاول بعدها عدة مرات ، وعندما يعلم أهل العروس أنه يساري يقابلونه بوجوه من الجبس ، ولم يكن يلومهم ، فأعز أصدقائه كان يتهرب منه بعد الحبس الأخير . وترتسم ابتسامة على وجهه كلما تذكر خطبة النائب الوحيدة التى ألقاها .. وبدلاً من القول: الشيوعيون العملاء ، مثل رئيس الدولة ، قال : الشيوعيون العلماء .

- سمعت أن توفيق تزوج مرة من أرملة ولم ينجبا .

- ربما ..

- ألم يرفع قضية تعويض .

- حُددت لها أكثر من جلسة .. وفى كل مرة يطلب محامي الحكومة التأجيل لمراجعة مدد حبسه . لمحا المحامي قادماً من بعيد . نهضا عن الدكة للقياء . أخبرهما انه فى الجلسة ، وأن يكونا جاهزين لأي نداء .

ذهبا إلى الدكة ، لم يجدا مكانا لجلوسهما ، ارتكنا بظهريهما إلى الحائط، استأذن حسونة ليذهب إلى دورة المياه .

لمح عبد السلام كاتب المحامي عند باب القاعة فأسرع إليه .

- نوديَت .

- نقلها الأستاذ لآخر الجدول .

عاد إلى مكانه ..

يذرع بنظراته الطرقة .. يجنح عند المنعطف الذى غاب فيه حسونة حينا .. ويتمهل عند منفذ الطرقة ناحية السلم ، حينا ..

عويس وكراوية

أسند المعهد القومي للبحوث العليا ، إلى الباحث عويس ، مهمة تقصى حقائق بعض الظواهر الاجتماعية .
اختار عويس واحداً من أكفأ معاونيه ، الشاب كراوية .
بدآ بظاهرة انقطاع التيار الكهربى فترات كثيرة .
ولما كان عويس ، رغم علمه ، لا يحب أن ينفرد برأيه ، فقد اعتزم أن يتبادله مع مساعده . حدد له موعداً مبكراً وسبقه إلى الديوان ، ليرتب افكاره . وهو يشرب القهوة ربت بيديه على كرشه الصغير ، وتساءل ممازحا نفسه .. يليق بوقار الأربعين.. لعله لا يتضخم مع الوقت . وضع إحدي قدميه على حافة الطاولة من أسفل وهو يشد بيديه بنطلونه عند الركبتين ، فارتفع بصعوبة لضيق فتحتيه .. أحس بوقع خطوات فأسرع يضع منظاره الطبى على عينيه .. ورسم ابتسامة .. زادت من أناقة شاربه الـ " دوجلاس " .
أقبل كراوية بقامته التى تميل إلى القصر ، لا يلحظ ذلك أحد لإرتدائه حذاءً بكعب " كوباية " ، وقد اصلعت مقدمة رأسه ، مع أنه لم يتجاوز الخامسة والعشرين من عمره . وقبل أن يفتح فمه معتذراً عن تأخره بضعه دقائق ، أشار له عويس بيده فى سماحة أن اجلس .. اقتعد كرسياً قبالته ، ورفت ابتسامة امتنان على وجهه الأبيض المستدير ، يحد من استدارته سالفان طويلان ، منفوش شعرهما كستنائى اللون .

وضع ساعديه على الطاولة ، وقدميه أسفل حافتها فأبانت فتحتا بنطلونه المتسعتان جورباً فاقع الألوان ، كثيراً ما نضحت نظرات عينيه عن تباهيه به .

كراوية : الحقيقة يا أستاذ المسألة زادت عن حدها ..

ابتسم الأستاذ فى سخرية ، وأغمض عينيه نصف إغماضة بينما استمر كراوية :

- فى عز المذاكرة النور ينقطع .. قبل بداية أي سهرة النور ينقطع .

تطلع الأستاذ عويس إلى كراوية فى ود وقال :

- اسمع يا بني .. إلى متى ستظل ساذجاً .. إن كل ما ذكرته صحيح .. ولكنه مقصود..

ارتفع حاجبا كراوية دهشة ..

- نعم يا بني مقصود .. ومحسوب بدقة .. لا تظن أن المسئولين غافلون .. لقد استطعنا فى السنوات الأخيرة أن نعود المصريين على عدم انتظام التيار الكهربى .. وقد استوعب العقل المصرى الأمر بنجاح .

كراوية : أرجوك .. وضح لى ..

عويس : لا تتعجل الأمور يابني .. مازلت حديث السن .. ألا ترى أن انقطاع التيار الكهربى يعلم الصبر ..

كراوية : كيف يا أستاذ .. ؟!

عويس : فى البداية يكون الإنسان عصبياً .. بتكرار الأمر يكظم غيظه .. ويتعلم الصبر ..

كراوية : هكذا .. !!

عويس : أنت لم تسمع كل شئ بعد .. ؟!

كراوية : زدني يا أستاذ من فيض علمك ..

عويس : لعلك تلاحظ أنه فى الأيام الأخيرة زادت جرعة الظلام ..

كراوية : ويشكو الناس من هذا ..

عويس : سُذج .. هذا محسوب بدقة .. كلما زاد الظلام كلما أعطينا فرصة للناس للحملقة فى اللاشئ .. ثم التأمل والتفكير بعد ذلك .. إنني أتوقع بعد مضى وقت ليس بالقصير أن تعود للمصريين حكمتهم التى كانت لهم أيام مصر القديمة .. وكلما زاد الظلام كلما أرحنا الناس من تعقيدات الحياة المدنية .. يتوقف المترو .. السينما ..

التليفزيون .. كثيراً ما سمعت شكاوي من ناس كثيرين أنهم لا يجدون لحظة يخلون فيها إلى أنفسهم .. ها نحن نعطيهم الفرصة .

كراوية : وعلى الأقل سيرتاحون من سخافة برامج التليفزيون ..

عويس : لست أدرى إلام ستظل ساذجا .. إن سخافة برامج التليفزيون يابني مقدرة بدقة بالغة .. سأعترف لك بسر .. عندما لم تؤد سخافة برامج التليفزيون إلى النتيجة المرجوة وهي إغلاق التليفزيونات وانصراف الناس عنها ، فكرنا فى قطع التيار الكهربى .. وحتى لا تفلت منا الإذاعة.

وابتسم الأستاذ فى انتصار وأضاف :

- نعم .. قطع الكهرباء هو الحل الناجع .. !!

كراوية : وماذا عن الأجهزة التى تعمل بالحجارة .

عويس : أتظن أننا لم نحسب حساباً لكل شئ .. ماذا تسمي إذن أزمات اختفاء الحجارة المتكررة ؟!

هز كراوية رأسه ، وقال :

- لكن لماذا تنقطع الكهرباء أثناء إذاعة مباريات كرة القدم .. وهي متعة وحيدة للكثيرين ، فيما أحسب ، فى يوم عطلتهم ..

عويس هامسا : يا للأحمق .. (وبصوت جهير) هل تظن أننا لم نفكر فى هذا أيضا..؟!

كراوية : كيف .. ؟!

عويس : المقصود أن نعود الناس عدم تصديق أي شئ .. تعلن المذيعة عن موعد المباراة فإذا لم يخلف التليفزيون الوعد ، نقطع الكهرباء فوراً .. وسوف يفيدنا هذا مستقبلا .. فإذا أطلق العدو الصهيوني شائعات فلن يصدقه أحد .. وإذا ما كتب أي صحفى أن الغلاء يزداد فلن يصدقه أحد ..

كراوية : سؤال أخير يلح عليَّ ..

عويس : لك ما شئت ..

كراوية : قرأت ذات مرة أن الإظلام يزيد من النسل .. فهل سنستسلم من أجل تحديد النسل ؟!

عويس : بالطبع لم يغب عن بالنا ما يؤرقك .. بحثنا الأمر فوجدنا أن المتعلمين يحددون

نسلهم فى حين ان نسلهم لو زاد لكان افيد ، لأنهم الأكثر مقدرة على تنشئة اولادهم، بعكس الفقراء الذين لا يعبأون بتحديد النسل ، وفى نفس الوقت لا يستطيعون تهيئة الجو الصالح لنمو اولادهم . لذلك فهناك دراسة ، نرجو أن ننتهي من بحثها قريباً .. مؤداها ان نعمم الظلام فى المدن الكبرى .ونسمح بإضاءة القرى .. وإن كنت شخصياً لست من أنصار هذا الراي .. فإضاءة بيوت الفلاحين ستقضى على طابعنا القومي وبصراحة يا كراوية .

" عايزينها ضلمة " .. !!

❖ ❖ ❖

رغم أن عويس ومساعده كراوية يعرفان جيدا ابعاد مشكل المواصلات ، إلا أنهما فضلا أن يعيشا يوما فى قلب القاهرة يستخدمان باصاتها ، ويوماً آخر يتنقلان فيه على مختلف وسائل المواصلات فى الأقاليم ، وكالعادة ، قبل أن يعدا تقريرهما عن المشكل ، شرعا يفكران بصوت عال .

كراوية : الحق أن الإنسان يرثى لحال سكان القاهرة ، ويعجب .. كيف يستمرون فى المعيشة بها رغم عذاب المواصلات .

عويس : سخف .. سخف .. دائما تحكم من الظاهر .

كراوية : أرجو الا يكون لساني قد زل ..

عويس : ما تراه أنت عذاباً .. له وجه آخر .. كل شئ مقصود ..

كراوية : ماذا يمكن أن يكون مقصوداً من حشر الناس فى الباصات كالسمك فى علب السردين .. ؟!

عويس : هنا بيت القصيد .. مشكلة الحيز .. لا اذيع سرا إذا ما أخبرتك أن هذه الفكرة ، اقصد حشر الناس فى أقل حيز ممكن ، أوحت لنا بها عبقرية سائقى التاكسى فى الأقاليم . هناك . العربات ، ينحشر فيها الناس بطريقة عجيبة ، فالعربة التى صنعتها أوربا لتسع خمسة أشخاص ، استطاع العقل المصرى أن يطور استعمالها ، وأصبحت تسع ثلاثين راكباً على الأقل . وليت هذا يتم والعربة فى حالة جيدة ، ولكنه يتم وقد تخلعت أبوابها أو كادت ، وأصبح صوت مكنتها يشبه خوار البهائم ، ولذلك تعمل على الخطوط الفرعية الموصلة للقرى .. الا ترى أن العقل المصرى يصنع المعجزات .. ؟!

كراوية : لكن .. ما صلة هذا التطوير بمشكلة الحيز ؟!

عويس : لا تتعجل الأمور يا بني .. لاحظ خبراء المعهد القومي منذ وقت طويل تآكل الأرض الزراعية المجاورة للمدن ، وتحول معظمها إلى أرض بناء ، لاستيعاب الزيادة في السكان ، فشجعوا ظاهرة تكدس الناس في العربات . وبعد أن يستوعب الإنسان المصري تلك الظاهرة بكفاءة ، ننوي تطبيقها في المساكن .. وهكذا لن نتوسع في البناء لا رأسيا ولا أفقيا .. ولكن نفس المساكن الموجودة سيتولى الناس حشر أجسادهم فيها .. ترى .. أي فائدة تعود على الاقتصاد القومي من توفير الأرض الزراعية .. ؟!

كراوية : كيف لم أدرك هذه الأمور ، مع أنها واضحة كالشمس ..

عويس : لم تسمع كل شئ بعد ..

كراوية : ماذا ..

عويس : ألا تلاحظ أننا نغمض أعيننا عما يسمي بالأحياء العشوائية ، التي تنمو في جوانب المدن ، ولا يُراعي فيها أي تخطيط للشوارع ، أو أية مواصفات للبناء ، فأصبحت أشبه بالأكواخ . أو تظن أننا لم نقصد ذلك .. ؟! بالطبع فكرنا في الأمر بدقة . تركنا الناس تتعود الحياة محشورة في تلك البيوت الضيقة .. ولا أكتمك .. عما قريب ستنتقل التجربة إلى قلب المدن .. طبعاً .. فعدد السكان في زيادة هائلة وقد أعددنا لكل شئ عدته .

كراوية : قد يكون هذا مفيداً في المدن المحاطة بأرض زراعية ، ولكن القاهرة تستطيع أن تنمو على حساب الصحراء .

عويس : يابني القاهرة تنمو من جهة على حساب الأرض الزراعية ، ومن جهة أخرى على حساب الصحراء ، وعندما انتقلنا بالتجربة إلى القاهرة طورناها لتشمل هدفا آخر ، بالإضافة إلى ما سبق .

نظر إليه كراوية مستطلعاً ..

عويس : لا أود أن أخوض في الأسرار العسكرية ..

نقر كراوية بسبابته صلعته البادية وقد أحس بالخذلان.

ضحك عويس في زهو وقال :

- سأشرح لك وأمري لله .. الحمولة الزائدة في الباصات ، جعلت مكناتها تصدر

أصواتاً غريبة ., وفرقعات .

كراوية : كأنها دبابات .

عـويس : .. ألم تلحظ أيضـا أن شـكمانات هـذه الباصـات تنفـث هباباً أسـود يعمـى الأبصار .

كراوية : حقا ..

عـويس : هـذا أيضـا مقصـود ليتعـوده النـاس ، كأنـه قنابـل الـدخان التـى تخفـى المهاجمين عن أعين العدو ...

كراويـة : الزحـام يمنـع بعضـهم مـن الركـوب .. ويضـطرون أحيانـا للجـرى وراء الباصات..

عويس : هذا بالضبط ما كنا نصبوا إليه ..

كراوية : الجرى وراء الباصات ..

عـويس : لا تتعجـب .. كـان هـذا طموحنـا وقـد حققنـاه قبـل انـدلاع الحـرب الأخـيرة مباشرة ونشكر الله على ذلك .

كراوية : ولكن ما فائدة أن يجرى الناس .. ؟

عـويس : يـابني لا تتعجـل .. أولا أحـب أن أنبهـك أن الجـرى يشـد عضـلات السـاقين والفخذين .. ويطيل النفس .. وهذا يجعلنا شعباً من الأشداء .. نرجع لفكرتنا الأصلية .. عندما بدأت الحرب الأخيرة ، وانطلقت قذائف المدافع ، تحركت على أثرها بعض الـدبابات الإسـرائيلية ، فواجههـا المشـاة المصـريون ، دون أن تـزعجهم أصـواتها . وهكذا كنا نتدرب يوميا تحت سمع العالم وبصره .. ولم ينتبه أحد .

ذهل كراوية من فرط الإعجاب .. ومع ذلك لم يستطع منع نفسه من إبداء ملاحظة:

- ولكن الحرب انتهت ومازال الجرى وراء الباصات مستمراً ..

عويس : المعركة لم تنته بعد .. !

كراوية : لو أذنت لى .. نقطة أخرى لا أستطيع هضمها ..

عويس : ماهي ؟

كراوية : فى أحيان كثيرة لا يقف سائق التاكسى لمن يشير له .. ويضطر بعضهم للجرى وراء العربة فإذا لان السائق ، قبل الزبون الركوب مع أكثر من راكب حتى لا يتعطل .

عـويس : لاحظنـا أن البرجوازيـة المتوسـطة هـي التـى تسـتعمل التاكسـيات ، ونسـبة لا باس بها من ذوى الدخول المرتفعة .. ولما كانت البرجوازية الكبيرة من قوى تحـالف الشـعب العاملـة فينبغـي أن تعـانى أيضـا .. كمـا لاحظنـا أن أبنـاء هـاتين الطبقـتين مجندون بالقوات المسلحة ، ومن المفيد أن يجروا لتقوية عضلاتهم ..

كراوية : ولكن ماذا عن أصحاب العربات الخاصة .. أليسوا فى التحالف أيضا .. ومن صالحهم هزيمة اسرائيل .

عويس : طبعا فى التحالف ولذلك نعقد الدنيا بالنسبة لهم .. ماذا تسمي اختناقات المرور .. وماذا عن المطبات فى الشوارع .. وماذا عن الشوارع الضيقة .. أؤكد لك أنه لن يمر وقت طويل ، حتى يتركوا عرباتهم و يجرو فى الشوارع ..

كراوية : أشاهد بعضهم أحيانا يزق عربته العاطلة ..

عويس : ما رأيته ليس إلا البداية .

◆ ◆ ◆

دعي الباحث الكبير عويس لحضور اجتماع خاص لبحث مشاكل الموظفين ، وكعادته أخذ يعد مع مساعده كراوية مفردات الموضوع .

كراوية : أعتقد أن أهم ما ينبغي التأكيد عليه هو إعادة توزيع الموظفين .. حيث توجد زيادة فى بعض المصالح وندرة فى بعضها الآخر . اغرق عويس فى الضحك وقال:

- يابني لا تتأثر بما تقرؤه فى الصحف ، فأغلب كتابها تنقصهم الحنكة الاجتماعية .. على العكس من كلامك فأنا أنوي فى الاجتماع المطالبة بتعميم هذه الظاهرة لتشمل ما تبقى من شركات القطاع العام .

كراوية : تكدس الموظفين فى جهة .. وندرتها فى جهة أخرى ..

عويس : نعم .. وأرجو أن أنجح فى إقناعهم . إن تكدس الموظفين هذا هو قمة الاشتراكية .. يابني .. نحن ملزومون برفع المستوي المعيشى لغالبية الناس ..

كراوية : آي نعم ..

عويس : إن تكدس الموظفين فى بعض الجهات ، وجلوسهم دون عمل ، فهو فضلا عن تعويدهم على التأمل والحكمة التى هما من سماتنا القومية كمصريين .. يتيح الفرصة للنابهين والناشطين منهم أن ينصرفوا إلى رعاية مصالحهم ..

كراوية : مصالحهم .. ؟!

عويس : نعم .. مصالحهم الحقيقية .. إن الوزارات أو الجهات التى يعملون بها .. ما هي إلا مجرد نوادٍ لشرب القهوة والشاى .. ثم ينصرفون لمباشرة أعمالهم .. بعضهم لهم محال وبعضهم تجار شنطة .. وآخرون يعملون ناسخين على الآلات الكاتبة .. أما النساء فحدث ولا حرج .. أغلبهن يشتغلن بالإبرة ، ولا يخفى عليك أثر ذلك على زيادة الناتج القومي .. وأخريات ينصرفن مبكراً .. لإعداد الطعام لأزواجهن .مما يوفر الراحة النفسية لهم ويزيد من إقبالهم على العمل . وهكذا نعطى الجميع الفرصة لزيادة دخلهم .

كراوية : والذين ليست لديهم أعمال خارجية ..

عويس : نعطيهم فرصة ذهبية للثقافة .. يقرأون الجرائد ... ويعرفون أخبار البلد .. ويطالعون المجلات والكتب والروايات .. وأراهنك ان تفتح درج مكتب اي موظف فى الدولة وستدهش مما ستراه ..

كراوية : (فى بلاهة) ماذا سأرى .. ؟!

عويس : تقول الإحصاءات أن ٩ من ١٠ موظفين على الأقل ، يوجد فى أدراج مكاتبهم روايات بوليسية ومجلات جنسية ..

كراوية : وماذا عن الأماكن قليلة الموظفين .. كيف ، نزيد دخلهم ؟

عويس : يلاحظ فى هذه الأماكن أن الموظف يكون قائما بأكثر من عمل ، ويعمل وقتا إضافياً ، يزيد عليه .. ويسهر بمزاجه .. سأضرب لك مثلا .. موظفو المحاكم والتموين ، الأعمال كابسة على رؤوسهم .. وإذا رجوتهم أن يقبلوا موظفين لمساعدتهم رفضوا بشدة ، وإذا أجبرتهم على ذلك ، دبروا المكائد حتى يتخلصوا منهم .

كراوية : لماذا ؟!

عويس : هنا بيت القصيد .. قلة الموظفين فى هذه الأماكن تجعلهم ملمين بكل كبيرة وصغيرة فى وظيفتهم ، وتجعلهم يحددون الوقت الذى يريحهم للانتهاء من اي عمل .. ولا يخفى عليك أن أمثال هذه الوظائف لها علاقة مباشرة بالجمهور ، ومن أراد أن ينجز .. فعليه بسجائر " الونجز " .

كراوية : وإذا لم يجد الجمهور السجائر .. ؟!

عويس : إن سعة أفقنا لا ترفض البدائل المتاحة .. !!

كراوية : بالتسامح .. !

عويس : ولهذا كثيراً ما تجد موظفاً لم يتجاوز أدنى الدرجات الوظيفية ، رغم نومه فيها عشرين عاما ويزيد .. يرفض أية ترقية حتى لا يُنقل من مكانه .

كراوية : هكذا ..

عويس : نعم .. هؤلاء السادة يملكون العمارات الآن .. وهذا هو جوهر فلسفتنا الاشتراكية .. كما أعطينا الفرصة للموظف الكبير أن يحصل على ما يشاء دون خشية من أية مسئولية أو محاكمة ، نعطيها أيضا للموظف الصغير .

كراوية : الأمور باتت واضحة الآن ، وعلينا أن نعد أوراقنا للاجتماع .

بدوي وعياد

كل صباح تمتلئ الحجرة الواسعة ، التى خصها رئيس المدينة ، بشرطة المرافق، بالعساكر . ويسرع العريف الكاتب بدوي بتوزيع الخدمة ، قبل وصول القائد ، مجنباً إياه الإلمام باعتراضات العساكر ، فهذا يود الخدمة فى سوق الخضر اليوم ، حيث ينصب "سوق الثلاثاء" ويحضر الباعة الريفيون بضاعتهم من اللبن ومنتجاته .. والطيور والفواكه. وذاك يشكو حرمانه من الخدمة على مدار الشهر فى الشارع التجاري بينما يتم تعيين المحظوظين .. ومن يمتنع عن دفع المطلوب للعريف ، عن خدمة الأمس فى ميدان المحطة ، لاعناً شُح أصحاب العربات الخاصة والأجرة . وآخر يتهمه بمحاباة أحبائه بتعيينهم خدمة أمام محال باعة الذهب فى السكة الجديدة ، حيث الإكراميات مجزية .

شوية هواء

هذا الصباح ، اضطجع العريف بدوي إلى ظهر كرسيه ، فبانت عروق رقبته المصوصة ، وزر عينيه الصغيرتين وسط ما يحطيهما من تجاعيد ، وازاح غطاء رأسه إلى الخلف ، فبانت مقدمة صلعته بيضاء ، زاد من نصاعتها وجهه الأسمر . أراح كفيه على حافة ترابيزته الخشبية وقال :

- ما العمل الآن .. ؟!

قال العسكرى عياد :

- كثيراً ما نصحناك الا تشترى الديك لسيادة القائد .

قال العريف :

- اكتم .. ولا تفتح فمك .

قال عياد وكان لم يزل بالجلباب :

- وقعت المصيبة وانتهي الأمر .

قال العريف :

- الديك الرومي نفسه مصدوده عن الأكل .. وسيادة القائد يحملنا المسئولية .

قال عياد :

- قلت لك لا تتورط .. أخذه بثمن بخس وستضطر لدفع الفرق من جيبك .

قال العريف :

- المهم الآن .. كيف نفتح نفس الديك للأكل ..

قال أحد العساكر :

- يومنا أغبر بإذن الله ..

وقال عياد :

- اقترح على سيادته يفسحه ، ويشممه شوية هواء ..

انطلقت ضحكات العساكر ، وقذف العريف " عياد " بمسطرة أمامه ، فهرول يخب فى جلبابه ، بقامته القصيرة المتكتنزة ، يسبقه نتوء كرشه . وقف فى آخر الحجرة ، وعندما فتح فمه الواسع ، خفت قليلا استطالة وجهه القمحى ، قال :

- القائد حبسه ، ومنع عنه الأكل .

زغر له العريف وقال :

- الديك تربى على الغالى .. والبيضة الأن بخمسة وسبعين قرشا .

عياد :

- لو فطس ، لن يدفع مليما .

العريف :

- عملنا سلاطة خضراوات ولا فائدة .

عياد :

- فيتامينات تفتح شهيته .

عاود العساكر الضحك ، وقذفه العريف بدفتر أحوال الوحدة .

لم يكد عياد يشقط الدفتر ، حتى كان العريف ينهض واقفاً ، وهو يصيح :

- انتباااه ..

وقف العساكر ، بينما دلف القائد إلى حجرته . جلس العريف وهو يشير إلى عياد ليغير جلبابه . فاقترب منه وهمس :

- سأتسوق بعض لوازم البيت ، وأغير واشترى ما يلزم زوجة سيادته .

في النفق

دخلت الحجرة شابة تحمل طفلين ، واحد فوق إحدي كتفيها ، وآخر متشعلق في أحد ثدييها . وخلفها امرأة عجوز . فردت الشابة يدا متسخة ، والقت على مكتب العريف ، بدوى ، ورقة صغيرة مكرمشة . فردها ودقق في الخط الردئ ، وهو يسب الشرطي عياد : تحضر أمام شرطة المرافق غداً في التاسعة صباحاً .

أخرج الشكوي من ملف أمامه ن وقبل أن يسألها ، أخذت تحكي :

- أجرى على خمسة عيال .. أبوهم قدم الشكوي ، ليطردني من النفق .

تطلع إليها العريف ، تمر القطارات فوق رأسها كل ساعة والثانية ، فترج النفق والمشاة العابرين . والمجاري طافحة دوماً ، والرطوبة تخنق صدور الباعة الذين فرشوا بضاعتهم أرضاً .

- جاء زوجي وخطف السكين من صاج البسطة (جاتوه رخيص) وجرحني .

وأرته أثر جرح حديث في جانب من رقبتها .

- وفي القسم قال أني جرحته وصدقوه .

- يا ست خلصينا .

- جاء زوجي ليأخذ ما بعت به .

وانفجرت باكية ..

أكملت المرأة العجوز :

- بنتى تزوجت واحداً تزوج ١٥ واحدة قبلها ، يتزوج هذه ويطلق تلك ، ويقبض على فلوسهم .

أفاقت الشابة :

- يرضيك أمشى من النفق .. أريد تربية العيال .

تطلع إليها المساعد وهو ينقر بقلمه على الشكوي .. من جهة هي شاغلة الطريق .. ومن جهة ..

وتمهلت نظراته على الطلفين :

- ابحثى عن مكان آخر ..

نظرت إلى أمها مستنجدة .. وقبل أن تفتح العجوز فمها ، سارع العريف إلى القول انه سيأخذ منها كلمتين وسيعمل اللازم .

العجل فى العربة

القائد اشترينا له أفراخاً ، وذبحناها ، وتحملنا مسئولية وجودها فى العربة ، وهو لن يسمح لنا بفرخ واحد . كنا فى المحلة الكبرى ، وأشار أناس للعربة . السائق: بعد إذنك يا عياد . المرور. مرور بمرور اركب يا أخ أنت وهو .. أشار اثنان مع أحدهما عجل بقرى. عياد للسائق : فى عرضك امش على طول .. ولا يهمك .. اركب يا أخ انت وهو .. دار على العجل بيدك . عند كل نقطة مرور ينعر العجل ، ويدهش شرطي المرور . العربة مكتوب عليها " شرطة ". يفوت .

ماذا لو قابلنا مفتش من الداخلية ، أو كتب عنا ضابط لمحنا تقريراً . ثلاثة معهم أرز وبرسيم اركبوا . الأرز يدردب على أرضية العربة حيث يجلسون خلف مقصورة السائق ، على دكتين متقابلتين . رؤوس حزم البرسيم تطل من فتحة فى المشمع الذى يحيط بهم من أعلى ومن الجنبين على هيكل حديدي .

أحد العساكر دق بقبضته زجاج المقصورة من الخلف للتنبيه . عياد الجالس إلى جوار السائق يطلب منه الوقوف . ولا يهمك . وعندما وصلنا أخذ كل واحد جنيهاً وبعض الفكة . عندما استمع العريف بدوي لهم ، بحثت عيناه عن عياد ، فوجده يداري نفسه بعيداً . يتهرب ليحرمني من نصيبى . لا وشنبك الذى لا أحلف به إلا كذباً .

استجواب

على غير عادته ، لم يشرع العريف بدوى فى فتح محضره ، وسؤال المتهم الأسئلة التقليدية عن الإسم والسن ومحل الإقامة . بل وضع القلم على المنضدة ، وتأمل الشاب الماثل أمامه . نحيف الجسم . يرتدي بدلة كحلية ذات ياقة عريضة . لم يعقد رباط عنقه . اكتفى برشق دبوس ثبته بالقميص ذى الياقة الطويلة المنشاة . عيناه وادعتان . خجولتان من وراء منظار طبى . ملامحه دقيقة . شعره رغم أنه مسترسل على قفاه تبعا للطراز الشائع بين الشباب ، إلا أن ذلك لم ينل من هيئته الهادئة .

قال العريف فى نفسه . لا يمكن أن يرشق شاب مثله عمود النور بالطوب . ارتد إلى حنكته وقال : لا تخدعنك المظاهر . بعد أن سمع صوت الشاب الحيي ، أكد لنفسه أن حدسه لا يمكن أن يكذبه .

س : فيم تعمل ؟!

ج: طالب بكلية العلوم .

س : أنت متهم بإقلاق راحة جيرانك وكسر مصباح عمود أمام البيت المواجه لمسكن قريبك .. فماقولك ؟ .

ج : لم أكسر المصباح .. ولكني على استعداد لشراء واحد آخر حلاً للإشكال.

- اسمع يابني .. عندي أبناء مثلك (ابني ينفى أي اتهام يوجه إليه قبل أن يتبينه) هل تعرف أن التهمة الموجة إليك جنحة لإتلاف مال عام .

- ظننت أن شراء مصباح جديد ..

- اسمع .. لماذا شكاك صاحب البيت المقابل لمسكن قريبك .. هل تحضر نساءً إلى حجرتك ..

- أبدا والله .. اسأل أهل الشارع ..

- هل لهذا الرجل بنات تعاكسها أو يعاكسها أصدقاؤك المترددون عليك .

- له بنات ولكن لا شأن لنا بهن .

- متضايق من الطلبة .

- هو يسكن عنده طلبة أيضا ..

فكر العريف بدوي قليلا .. فهمت.. أمثال هؤلاء الناس يودون جر رجله ..

- يا بني أجب على قدر السؤال . إذا كنت لم تكسره فلماذا تشترى بدلاً منه؟!
- حتى لا يزعل مني سكان الشارع .
- هذا بينك وبينهم ، لا تذكر ذلك فى التحقيق ..قل فقط أننى لم أكسره مادمت لم تكسره ..
- أنا أذكر لسيادتك الحقيقة .. ولقد ذهبت فعلا قبل حضورى إلى هنا للسؤال عن أسعار المصابيح .. و ..
- هل سمعت ما قلت .. أجب على قدر أسئلتي .
- هل تقيم فى البيت المواجه لعمود النور ..
- أقيم فى المدينة الجامعية .
- هل معك ما يثبت ذلك ؟ ..

ناوله بطاقة المدينة الجامعية . وقال :

- لا أقيم هناك أغلب الأيام . أقيم عند قريب لى فى الشارع المذكور .
- هل أنت ساكن رسمياً ؟!
- لا .. ولكن لى حجرة خاصة بى .. أذاكر فيها ..
- أنت تلبس نفسك قضية ..
- أذكر لك الحقيقة ..

شاب لقطة ، ولما كان فى حاله فلم يجدوا وسيلة خيراً من أن يشكوه .. ليذهب ويبحث الأمر معهم ، وساعتها يظهرون تسامحهم ، ويوثقون صلته بهم .

س : هل رآك أحد وأنت تكسر المصباح .

ج : لا .. ولكني سمعت صوت ارتطام طوبة بالمصباح ففتحت نافذتي وحادثني الرجل صاحب الشكوي واتهمني ..

- أجب على قدر سؤالى فقط .

وأخذ يسأل نفسه ، ويجيب .

واجهة عرض

قدمت امرأة طلب استدعائها للشرطة للعريف بدوي . فى حملة الأمس نزعوا واجهة العرض الزجاجية من محلها .

ناولها بدوي لعياد ، فهو الذى يعرف المشكل .

افهمها أن العريف سيسلمها الواجهة بعد أن يفتح لها محضراً تتعهد فيه بعدم تعليقها مرة أخرى . ولم يكد ينطق بهذا حتى انفجرت المرأة .

- لماذا أنا .. وماذا عن كل الواجهات المعلقة ..

والتقت عيناها بعيني عياد . ويبدو أن نظرته راقت منها قبولاً . فعياد يمتاز أحياناً بنظرة تشجع محدثه على الاطمئنان والاسترسال فى الحديث ، وهو على استعداد للقسم أنه لا يتعمد هذه النظرة ولا يرغبها ، فهي تسبب له دوشة فى دماغه ، وفى إدخاله طرفا فى موضوعات لا شأن له بها .

انتقلت المرأة إلى جواره وأخذت تشرح :

- أجرى على عيال .. زوجي سائق عربية راح الحجاز فى موسم الحج ، مرت شهور ولا حس ولا خبر .. ناس قالوا لى مات فى حادثة .. وناس قالوا لى فى المستشفى.

- اسألى فى السفارة .

- غلبت .. قالوا لى الخارجية .. سألت ودخت ولا من مجيب .

طيب عياد خاطرها بكلمتين ، وبينما يحاول لضمها فى بدوي ، ولدهشته أخرجت علبة سجائر وعزمت عليه ، فاعتذر لأنه غير مدخن ، رشت على العساكر، وقالت تبدد دهشته :

- من الهم .

ثم استدارات للعريف بدوي .

- صاحب الملك له عندي حاجه .. لماذا يشتكيني .. أنا مستأجرة الدكان .. أعلق واجهة .. لا أعلق .. أنا حرة .

حاول عياد تهدئتها . امرأة ربعة ، سمينة ، ووجهها ذو ملامح هادئة . وجرس كلماتها يدل على حسن تربيتها وهي صغيرة . ونصحها عياد أن تقدم طلب ترخيص واجهة للإدارة الهندسية بمجلس المدينة . وسيحول إلى الشرطة للفحص والتحرى .

اعترضت لأن الشرطة سوف تكتب ما كتبته على طلب سابق أن إعطاء التصاريح موقوف . افهمها عياد أنهم سوف يوصون بمنحها ترخيصاً مؤقتاً وستؤدي رسماً بسيطا ولن يتعرض لها أحد .

وعندما بان من نظراتها أنها لم تقنع ، أكد لها عياد أنهم لن يشيروا لشكوي المالك ، وسيذكرون حالتها الاجتماعية ، وشدة حاجتها لهذه الواجهة لعرض مصاغ " القشرة " الذى تبيعه .

انصرفت المرأة بخطوات مترددة ، ومال بدوي على عياد ، بصفته شرطي " الاستيفاء " وسأله ، كأنه لم تمر عليه عشرات من هذه الحالات :

- هذا الكلام جائز .. ؟!
- جائز .. وليس جائزاً !!
- فسر
- بصراحة .. المالك على صلة بالبك .

وأشار إلى حجرة الضابط .

- وبعد ..

نصحتها تصغر الواجهة .. المالك له محل إلى جوار محلها .. مصاغ ذهبى .. واجهة عرضها تأكل حوالى عشرة سنتيمترات من جداره .

الوصول لبيتي

دخلت سيدة ترتدي بنطلوناً ، وتميل إلى القصر .. لم تستطع المساحيق أن تخفف من وقع أنفها الأفطس . تسحب طفلة فى يدها شطيرة طعمية . وقالت أنها عاجزة عن الوصول إلى بيتها .

رفع العريف بدوي رأسه عن أوراقه وقال :

- كيف .. ؟!
- صاحب أول بيت فى حارتنا له محل طرشى أسفله ، سد مدخل الحارة بعروق من الخشب وأقام على أرضيتها مصنعاً للطرشى. فوجئت بذلك لدي عودتي من مصر.
- وباقى السكان .
- يضعون سلم نقال

- ادخلي من الجهة الأخرى .
- الحارة مسدودة .

أشار بدوي إلى حجرة الضباط وقال :

- انتظرى حتى يحضر .

وشغلت الوقت بإعادة ما روته بالتفصيل . أوصاها أن تتوجه إلى الإدارة الهندسية وتقدم شكوى .

عملت بما أوصاها به ، وعادت بعد يومين . أخبرها العريف بدوي أن الإدارة الهندسية أثبتت الحالة ، وأرسلت إليهم لأخذ تعهد من صاحب المصنع ، بإزالة سبب الشكوى . وقد تم ذلك .

قالت :

- مازال الخشب يسد الحارة .

تطلع إليها العريف بدوي .. لا يدرى متى ستخرج حملة من العساكر لنزع اشغالات الطريق .. وإذا خرجت هل ستذهب إلى حارتها أم لا .. وقد يعترض صاحب المصنع .. وسليزم حينها عمل محضر وإرساله للنيابة ، وطلب الإذن باستعمال القوة .. وقد يرفع الرجل قضية ويفرمل كل شئ ..

- كيف أعدي .. ؟!

لا رجوع للوراء

عجوز منتصب القامة ، ضيق العينين ، نافذ النظرات ، ناول عياداً ورقة . دون اهتمام وضعها أمام العريف بدوي . تسمر العجوز أمام ترابيزته وقال :

- حضرتك الأستاذ عياد .

استعاد عياد اهتمامه به وقال :

- أفندم .

سحب العجوز الورقة عن المنضدة وناولها لعياد . سطور من صديق يوصيه به خيراً .

- تفضل .. استرح يا مولانا .

تردد قبل أن يجلس على طرف دكة قصيرة فى مواجهة ترابيزة بدوي ، يجلس عياد عليها .

- المهندس مر .. اشار ان ارجع بالكشك خلف محل الفاكهة .

قال بدوي :

- لا نستطيع شيئا إزاء تأشيرة المهندس .

تصلب وجهه ، وبان أن سكرتير عام الأمم المتحدة - نفسه - سيعجز عن تحويله، وقال :

- مستحيل أرجع للوراء .

قال عياد ، محاولاً تخفيف صلابته :

- خطوتان للخلف . لن تضرا أحداً .

سلط عينيه عليه ، ودفع برأسه قليلاً إلى الأمام ، فبانت أكثر صلعة حرقتها الشمس. وقال فى حدة من لا يقبل التراجع عن حدود مصر الدولية :

- ولا خطوة واحدة .

لم يظهر أي اثر لتصميمه على وجهي عياد وبدوي ، فاستمر ..

- وراء.. أضيع .. محل الفاكهة يمد فرشته .. يداريني .. لا أبيع سيجارة. واحدة .

حاول بدوي فك الاشتباك بكلماته المتادة ، أنه سيعمل الصالح .

لم يستجب وطلب أن يرى معاينة المهندس . أخرجها بدوي من ملف أمامه وناولها لعياد . المهندس لم يذكر شيئا عن محل الفاكهة . فقط أوصى بإرجاع الكشك للخلف نصف متر ، حتى لا يؤثر على حركة المرور فى الشارع .

ضحك العجوز ضحكة جافة ، لم تشاركه فيها عيناه ، وقال :

- يا سيدنا الأفندي .. انا على الرصيف .. هذا ملعوب ، لأجل خاطر صاحب المحل .

تبادل بدوي وعياد النظرات .. بينما استمر العجوز :

- انا عامل الكشك أتحايل به على المعيشة .. أنا منكم .. رقيب على المعاش .. وعندي أولاد فى الجامعة ..

وأخرج من جيبه أوراقاً تؤيد كلماته وأراهم توصية من اللواء فلان للمهندس علان بخصوص الكشك وقد لانت ملامحه . أفهمه بدوي الا يخشى شيئا ، وإذا جاءه عسكرى ، أو مهندس ، وطلب منه شيئا أن يقول : حاضر . وعليه أن يلزم

الكشك ولا يبارحه حتى يأتيه عياد لعمل التحريات اللازمة على الطبيعة .

عادت إليه صلابته ، وأشار بيد حجرية :

- رجوع للوراء .. لا .

قال عياد :

- حاضر .. الأول نعاين ونشوف .

- لن أرجع خطوة واحدة .

القهوة أولاً

دخل رجل يحمل حقيبة جلدية منتفخة ، تهرأت وتقشر جلدها الأسود . ما أن رآه عياد ، حتى أخذ ملف " الاستيفاء " وأسرع خارجاً ، غير حافل باعتراض بدوي بالانتظار .

" أمرنا لله " تمتم بدوي وقد عرف أن يومه لن يمر بسهولة . الرجل يقترب من السبعين ، نشط ، مهزار ، هوايته مشاغبة الحكومة . وضع الرجل حقيبته إلى جواره على الدكة ، وقبل أن يفتحها ، أشار له بدوي أن ينتظر ، وسأله ماذا يشرب .

يعرف أن الحقيبة تحوي قانون العقوبات ، وقانون الإجراءات الجنائية ، ولوائح تنفيذية لبعض القوانين ، ومنشورات ، ومذكرات ، وفتاوي قانونية ، وطوابع دمغة .

كما يعرف سيرته .. إذا قابله أحد فى الطريق وعرض عليه مشكله ، وحبذا لو كان مخاصماً الحكومه ، على الفور تثار شهيته ، ويجلس عند اقرب محل ، ويستأذن فى كرسي . يفتح حقيبته ويلتقط ورقة بيضاء ، يلصق عليها طابع الدمغة المطلوب ، ينقب فى أحد كتبه ، يقرأ نصاً ويشرع فى العمل ..

وبالإضافة إلى هذا ، هو اختصاصى فى بيع أراضى الغير . ما أن يسمع أن فلاناً مات ، وأنه كان يملك أرضاً ، حتى يحرر عقداً بينه وبين المتوفى بتاريخ سابق على وفاته . ويرفع قضية صحة تعاقد ، غالباً ما يخسرها . يستأنف وغالباً ما يكسب . وهو اثناء ذلك .. بادي الهمة .. يقسم الأرض ويبدأ فى بيعها .. وهو متهاون جداً ، يقبل اي مبلغ تحت الحساب ، ويشجعك على البناء .. على أن تسمح له بمحل يؤجره بمعرفته ؛ أو تقيم له سوراً حول قطعة أرض يود الاحتفاظ بها .

أنشأ مرة عزبة للعساكر فى قطعة أرض خالية ، وخسر القضية أمام الورثة ..

ولكنه كان قد وضع اليد ، واعتمد التقسيم واستأنف ، ومرت عدة سنوات.. فباع واشترى .ومن باع له باع أو استبدل .. ومازالت القضية منظورة أمام المحاكم .

طافت عينا بدوي على الورق الوارد للتحري .. أحد مطاحن القمح يشون فى قطعة أرض يستأجرها إلى جواره بضاعته . مات الملك .. وتلقائياً سدد المطحن الإيجار للورثة. رفع الرجل قضية بملكيته للأرض بموجب عقد بيع سابق ، ورفع قضية على المطحن ليدفع الإيجار له ، ويلزمه برد ما دفعه للورثة .

تساءل بدوي .. لماذا لم يُرسل الورق إلى قسم الشرطة الذى يقع المطحن فى دائرته للتحرى .. فر الأوراق .. خالية من خطاب التحويل .. لعله عند القائد .. هل ينتظر حتى يحضر .. خشى أن يسمع مالا يرضيه . أخذ نفسا عميقا وقال :

- اسم وسنك وعنوانك ..

قهقه الرجل ، فظهرت لهاته فى تجويف فمه الأهتم ، وسبق لسانه كلماته على حافة شفته السفلى :

- نشرب القهوة أولا .

ورق النعناع

(١)

من أنت .. ؟!

وعلى أى أرض .. وهل أنت مخلوق له وجود ، أم تحولت إلى مواد هلامية تسبح فى الفضاء.

وأين هو الإدراك .هل أدرك حقيقة ما حدث .

وماذا حدث .. ؟!

اعقلى يا بنية .. ثوبى إلى رشدك .وهل أنا مجنونة حتى أعقل .. الحقي نفسك قبل ان يفوت الأوان .

ألحق نفسى من ماذا .. وأي أوان سيفوت ..

معدتى خاوية .. ونفسى مصدودة عن الأكل .

وما هذه العتمة .. ظلام .. ظلام حقيقى .. وهل عاد شئ حقيقياً .. وهل الحقيقة ان يأخذوا زوجي ويتركوني فى الشارع ..

لعله ظلام سببته غلوشة عيني .. وهل أنا يقظى أم نائمة ..

هل نمت فى الشارع .. افيقى يا غبية .من الذى يشتمني .. من الذى يفكر ويرد عليَّ .. هل انفصلت عن نفسى .. وكيف أكون دون نفسى .. ؟!

عيناى – أغلب الظن – مغمضتان .. ودماغي دائخ .. من يرد نيابة عني ..

دائخة كفرخ مذبوح ،يتخبط ، قبل الرقاد الأخير.

بالله كفى عن هذا .. واستعيدى وعيك بما حولك .

وإذا وعيت .. هل سيغير ذلك من الأمر شيئاً ..

أنا فى الشارع فعلا .. على مقعد حجرى ... كيف لم اشعر برطوبته ..

كم الساعة الآن .. وماذا تهم الساعة .فوقتك طويل .طويل..

أي وقت.وما هو الوقت .. لحظة هنيئة تساوى آلاف الساعات.. كلام يابنية .. هل جاوزت

الساعة منتصف الليل ..

يا لكسوفى .. هل ظن بى المارة الظنون ..

اسرعي وغادري أيتها الغبية .. أين رفيقتي..أين أنت يا رجاء..

وهل ستنتظرك أيتها البلهاء .. ذهبت إلى أهلها .ناس مقتدرون ..

وأنت .. أين تذهبين .. وهل تجرئين على مواجهة أمك .. ياما نصحناك ابتعدي عن السياسة.

اشربى .. اذهبى إلى أهل زوجك .. لهم أرض زراعية فى الصعيد ..

هل أذهب لمن قالوا لى دون مواربة : طلقيه ..

اعتمدي على نفسك .. اشتغلى يا شاطرة .. ماذا أشتغل .. ؟!

افتحى بيتك ..

أين عفشى وملابسى ..

لقد أتلفوا ما استطاعوا ساعة القبض المشئومة ..

وبعت قطعة بعد قطعة وأنا أجرى وراءه فى المحاكم ..

ولم أعد أنظر حولى وأقول .. هنا رقدت .. وهنا جلسنا .. وهنا تمتعنا بوقت طيب .. أراحوك أيتها الغبية من حمل ثقيل ..

(٢)

القاهرة ..

وخلقها الكثيرون ، سُمر البشرة ، كأنما يخرجون من الأسفلت ، حين يتشقق ، ويسيح الزفت ، تحت وهج شمس الظهيرة .

القاهرة ..

وشوارعها تضيق ، بوسائل مواصلاتها الأخطبوطية .. من ترام وباصات وعربات أجرة وخاصة ..

القاهرة ..

وقاعة صغيرة فى أحد دروبها ..

القاعة منذ الصباح الباكر ، ترتجف حيطانها المتداعية ، من تدفق عربات نصف مصفحة ، لتحيط بها . يقفز منها حملة الرشاشات . ومخبرون سريون منبثون فى الأركان ، دلت سحنهم المغبرة ، وتجهمهم ، أنهم لم يأتوا إلى هذا العالم من بطون النساء .

ورجال الصحافة العالمية والمحلية ، مُنعوا من دخول القاعة المنعقد فيها المجلس العسكرى، وسُمح فقط لفتاتين نحيفتين ..

وبعد قليل .. سيشق الجو نعيق ..

وبعد زمن ، قد لا يطول .. ستُرفع قضايا استحقاق نفقة ، وطلب طلاق .. .
وينتشر فحيح .. تجريح فى سمعة فلانة زوجة فلان .. والآنسة أخت السجين علان .
وحدث ما توقعته الفتاتان ، والمقربون منهما ..
السجن مع الأشغال الشاقة ، مدة تكفى لأن يشب ابن إحداهما وينهي مرحلته الابتدائية ، ويلتحق بالتعليم الإعدادي .
وعجب الزوجان وبقية زملائهما فى القفص ، لتماسك الفتاتين. لم يدروا وقتها أن الحكم القاسى كالنصل المرهف ، يخترق الجسد فى يُسر دون ألم لحظي .
وشعر كل من الزوجين — ساعتها — بتقصيره فى حق زوجته . أما كان الأجدي أن يفعل من أجلها كذا وكذا ..
غادرت الفتاتان .. وقد توثقت صداقة بينهما دون كلام . أما إحداهما .. فهي فادية ، بوجهها البيضاوي ، تشع منه عينان خضراوان ، انطفأ بريقهما ، واختفت ابتسامة دافئة كانت تلازمها ، والتصقتْ شعيرات بنية بفعل العرق أعلى جبهتها .
صدرها راسخ ، أسفله خصر رشيق . ارتدت " بلوزة " ، بيضاء أبرزت لون بشرتها الخمرى .
والثانية .. هي رجاء فرهود .. فى الخامسة والعشرين مِنْ عمرها ، وتصغر فادية العباسى بثلاثة أعوام ، وتسحب فى يدها طفلا ..
كل مافى وجهها دقيق ، وعيناها عسليتان ، ذقنها صغير منساب .
سُمرتها خفيفة ، تشعرك بالود ، وشعرها فاحم أسود ، مقصوص " آلاجرسون " . ولولا انتفاخ فى بطنها ، وبطن فادية الأطول قليلا ، لخلتهما لم يتخرجا فى المدرسة الثانوية .
تطلعت فادية إلى صديقتها ، ولم تستطع أن تغالب الدمع فى عينيها ..

(٣)

- لا أستطيع التحمل ..

مازحتها فادية ، مغطية بخفة روحها على ما أثارته :

- اختشى يا بنت .

زوت رجاء مابين حاجبيها وقالت :

- لم تمر سوى سنتين ..
- احمدي الله .. باق لك ثلاث سنوات .. ياعيني عليَّ .. ثمانى سنوات طوال عراض ..

وحتى لا تعطيها فرصة للرد ، تضاحكت ، وتمتمت :

- لك حق .. ساكنة فى مصر الجديدة . يا روح ماما .. أحضر من المنصورة من أجل

خاطرك .. لأسمع هذا الكلام الفارغ .

وهربت من تلاقى العيون .. بالتشاغل بطقم حجرة الاستقبال المذهب ، قماشه ابيض ، به نقوش وردية ، تشيع رقتها الهدوء فى الأعصاب .. وفى الأرض سجادة ، رخاء نسيجها يغرى بالرقاد فوقها . وستائر الشبابيك ، شفافة ، تتماوج لأقل نسمة . عذرتها فادية ، وخففت عنها: هانت ..

نهضت رجاء ، لتعد لها مشروبا . وتساءلت فادية .. هل ستصمد .. بعض النسوة فى شارعها ، المسمي كفر الفجر ، دائما فى انتظار خروج أزواجهن من السجن ، بسبب خناقة ، أو تعاطي ، أو حيازة مخدرات . لا يتفوهن بالشكوي .. فقط يمصمصن بشفاههن ويتمتمن : قسمتنا ونصيبنا . ولفت نظرها اسم كفر الفجر ، وكأنها لم تعرف ذلك إلا الآن . هل بسبب المشاجرات ، التى لا تنفك تنشب لأتفه الأسباب ، أو لأن نسوة الشارع يجلسن على عتبات بيوتهن المقامة بالسدة والبغدادلى — غالبا — يلكن سيرة الخلق ، بينما أيديهن تقطف ملوخية ، أو تقصص بازلاءً أو تقشر ثوماً .

وفى الليل ، يجتمع الرجال ، الذين يلقبونهم بالمعلمين .. هل لأنهم يجيدون فى مهنهم من نجارة وحدادة ومحارة ، أم لأنهم يسدون فى المشاجرات .

وهم لا يتجنبون — إلا فيما ندر — من يعايشونهم فى الشارع من تجار المخدرات ومحترفى المشاجرات فى الأفراح والموالد ومواسم الانتخابات ، يتحلقون جميعا فى محل أحدهم ، يبيع العسلية والمحوجة والفريبة صباحاً ، وتكركر الجوزة مساءً، ويتصاعد دخان حشيش يسطل حياً بأكمله ، بينما يتبادلون النكات وتنفجر ضحكاتهم .. مجبرين باقى أهل الشارع على السهر معهم .

والمرأة هنا تنتظر خروج زوجها من تأبيدة تجلب الصلع إلى رأسه ، وتعاف الرجال فى صبر عجيب . أما إذا أفلت عيارها ، فأحد المعلمين يتدخل ، ويكون الطلاق . أما أن ترافق أحداً ، أو تتحول إلى بغي ، على قفا السجين ، فهذا لا يسمح به أحد .

وضعت رجاء صينية عليها فنجانان من القهوة . قالت فادية ، وكأن حديثهما لم ينقطع :

- لا تنسى أنهم يعانون فى السجن ، ولا نريد أن نزيدهم بمشاكلنا .

ردت رجاء :

- ليتني كنت فى السجن .. بدلا من رشاد .
- بطلى يا بنت
- هناك أرحم .. الناس هنا تريد أكلنا .

رشفت فادية قهوتها ، وانتظرت حتى تتناول فادية قهوتها ، لكنها لم تفعل .

قامت مستأذنة ، فنشعت عينا رجاء بالدمع ، ورجتها أن تمكث عندها عدة أيام ، وغلبتها ضحكة ، وهي تقول :

- لماذا العجلة فى الذهاب إلى الكفر .

ابتسمت فادية ، ووعدتها أن تفعل ذلك فى مرة أخرى ، ولكن عليها الآن أن تذهب إلى شقتها فى القاهرة لتهويتها ، لأنها لم تذهب إليها ، منذ أقامت عند أهلها فى المنصورة ، بعد المحاكمة.

(٤)

استقرت فادية فى سريرها ، وقد شملها إحساس مبهم ، وإن أحست بالراحة ..

ولم تكد تستكين ، بعد تعب تنفيض الغبار عن أثاث حجرة النوم ، حتى دق الباب فى لهفة . وجدت رجاء أمامها .

- يا رحمن يا رحيم .

- أنت مشيت من هنا .ووصلت رسالة لك من هنا .. عائلة كانت فى زيارة للواحات .

تهلل وجهها ، ودق قلبها بسرعة .. تود أن تنفرد بالرسالة وتعيش مع كلمات زوجها لحظات حميمة .. لكن وجه رجاء المتطلع. يدفعها لأن تقرأ الرسالة أمامها .. عاجلتها رجاء :

- طمئنيني ..

جرت عينا فادية بسرعة على السطور ، ثم قالت :

- لا جديد.

لم تلحظ رجاء ما طرأ على وجه صديقتها من تغير . واستأذنت فى الانصراف ، غير ملقية بالاً لطلبها أن تقضى الليل معها حتى الصباح .

ما كادت تنصرف رجاء ، حتى أجشهت فادية بالبكاء .. وقد اعترت جسدها تقلصات ، كأن أعضاءها تبكي ، وأحست بلفح من الفراش كهواء ساخن لامس صحراء قائظة ، فجلست وعرق ساخن تحس به بين كتفيها ، وينزلق حتى أسفل ظهرها .

حضرته زعلان لأني أذهب إلى السينما والمسرح مع أناس لا يعرفهم ..

آه يا ناري .. لو أعرف من الذى يرسل له هذا الكلام .

ماذا يريد الناس مني .. ؟! .. ألا يكفى ما جرى لى ويتركوني فى حالى .. ماذا لو كنت مثل أخريات .. إلا عاملة حساباً للناس وكلام الناس .. والمرات اليتيمة التى ذهبت فيها إلى سينما أو مسرح كانت مع أخي .. أو مع رجاء .

وحضرته يصدق كل كلمة تصله .. ويريد أن يعرف كل خطوة لى .. ومع من أسير ..

سأريك من الآن فصاعدا .. وما دام احتشامي لم يؤد إلى نتيجة .. محروقة الناس .. وكلام الناس .

وسقطت فى نوبة هستيرية من بكاء متقطع ..

سيادته فاكرني مربوطة لسواد عينيه .. انا منتظراه بمزاجي .. آه.. لازم يفهم .. لم يجبرني احد على الانتظار .

نهضت وجلست على كرسى بجوار السرير ، وفتحت نافذة مواجهة ، التماساً لنسمة هواء ..

ماذا لو كان وسيما .. ويجيد الكلام .. صعيدي لا يجيد إلا البرطمة .. وياما ضحكوا منه فى الاجتماعات وخاصة العناصر النسائية ، وخلت وشه فى لون الدم .

أنا يكتب لى هذا الكلام الفارغ .. أنا الذى عبرته ولم أضحك منه أبدا .

(٥)

من فرط اهتزام أشلاء المسافر فى الدرجة الثالثة بقطار الصعيد ، تظنه يتدحرج فوق الزلط بين الفلنكات . وهذا الظن يحدث فى الأوقات التى يعثر فيها الراكب على عقله ، أثناء الوقوف فى المحطات .

ويعاود القطار حركته ، وتعاود مطارق الصداع ضرباتها .. ويحار الجالس أين يريح قدميه ، وقد شغلت القفف الملأىَ بالخبز والأرز ، والأطعمة ، أرضية العربة ، وتحت المقاعد وفوق الرفوف . وعند أية حركة لتحسين وضعه ، يشعر باضطراب فى معاه ، ولا يدري كيف ينفس ، وظنت فادية أن خللا أصاب دماغها ، وهي جالسة عند طرف الكرسى المزدحم بجزء من ردفها والجزء الآخر فوق قفة إلى جواره . وفوق رأسها بقليل ، على الرف قفه منبعجة الحواف ، خمنت أن بها ملابس ، وثمة موقد كيروسيني ، أطلت أقدامه المعدنية من نسيج خوصها ، يرفسها نائم على الرف بقدميه بين آونة وأخرى ، فيساقط عليها ما لا تدري كنهه بالضبط ، وتجرش أسنانها غباراً خشناً لم تشعر به يتسرب إلى فمها ، ولا تدري أين تبصقه .

وتتلفت حولها ، فتلمح بين القفف نساءً كالأعمدة ، تلفعت كل منهن بملس أسود ، أخفى ملامحها البشرية ، ولولا فتحتان صغيرتان للرؤية ، لظنتهن كائنات خرافية . أما أغلب الرجال ففوق الرفوف يزاحمون ما عليها من حقائب وقفف ، وأحدهم يشعل موقدا ، يصنع الشاي ، ويصبه فى أكواب زجاجية ويعزم على أصحابه .

مع تعمق الليل ، هجعت العربة ..

ونفخت فادية ، ليس من الضيق ، ولكن من اقتراب الفرج . ساعة وتصل إلى أسيوط ..

وبعد قليل تستقل من " المواصلة " قطار الواحات الخارجة.

لم تكد تغفو قليلا ، حتى أيقظتها هزة يد خفيفة . ما أن شرعت عينيها فى وجه صاحبها ، حتى بادرها بابتسامة ، وقال :

- لو سمحت حضرتك .. أؤدي خدمة بسيطة .
- أفندم ..
- إذا سمحت .. تستريحين عندنا قليلا فى الصالون .

غلوشت الدنيا فى عينيها ، وتاهت لحظة ..

وارتفع حذاؤها ، وهوي ..

خبطة والثانية ، وهرب ، قبل أن يستيقظ من يجاورونها فى الجلوس .

سحت عيناها دموعاً ساخنة ..

لو لم أكن وحدي ، لما تجرأ عليّ .. لو كانت بنتى عاشت .. كان زمان عمرها ثلاث سنوات .. تعرف تتكلم .. وعلى الأقل تؤانسنى. تلفحت بإيشارب حول أذنيها ، وحاولت أن تغير من وضع ساقيها.. لعلها تغفو ثانية ..

(٦)

- أنت يا ست .

الست لا ترد .

- الآن أذن من طين وأخرى من عجين .

تململت الست فى جلستها على الكنبة الاستامبولى ، ورشفت من قهوتها على مهل . دست شعيرات فضية تحت حواف عصابتها ، ورفعت جذعها الضامر فى مواجهة بنتها على كنبة قبالتها. أفصحت نبرات فادية أنها لا تأبه لهذا الاعتداد :

- اسمعي يا ست ماما .. حسك عينك تكررى هذا الكلام ثانية.

وزدت الأم بدموع عينيها .

كاد التأثر يمنع الابنة من الاسترسال ، وغالبت شفقة أخذتها فجأة على العجوز ، وقالت تريد حسم الموضوع وعدم العودة إليه :

- ليس معقولا كلما جاءت زائرة ، تشتكين لها حال بنتك المائل.. وهات يا بكاء .
- من الخيبة .
- أنا الذي اخترت .. فاهمة .

ولتمنع موجة من البكاء ، أوشكت أن تعلو ، قالت فى حدة :

- هي حياتي ولا حياتك ..

وأسرعت إلى حجرتها، فالعجوز لن تكف عن اللت والعجن . وما يدهشها أن هذا قد وصل إلى زوجها ، ففى إحدي الزيارات همس لها :

- ماذا تقول أمك .. ؟!

- أقطع كل هذه المسافة ، لتسألني عما تقوله أمي .. !!

- أردت الاطمئنان عليك .. !

صمت كلاهما ، لا يجدان ما يقولانه ، وشملت وجهه حمرة ، وقال بصوت لم تغب عنه رخامته :

- هانت ..

نقرته بنظرة ، وجرى فكرها .. نعم يا سيدي هانت .. فاتت خمس سنوات .. وباق مثلها .. سنة تنطح سنة ..

عمق الصمت .وتشاغل المأمور عنهما ، بالنظر فى أوراق على مكتبه ، فاستأذنه زوجها ، أن تذهب معه للسلام على بعض الأصدقاء . نادي المأمور أحد العساكر .. ففتش هداياها من طعام وملابس .. وعندما أعطاه تماماً أشار لهما بالذهاب . وهما يغادران.. أشار للعسكري أن يتبعهما ..

ذهبا إلى حيث الخيام التى يقيم فيها السجناء ، وسط الرمال .. وأحست بلهيب القيظ .. فتساءلت.. ألهذا يسمونه سجن المحاريق.

عزموا عليها ببسكوت من المقصف ، وصنع أحدهم شاياً .. وهات يا أسئلة عمن تقابلهم من أقاربهم ، وعن أحوال الناس فى الخارج .. وشيئاً فشيئاً .. انسحبوا وتركوهما وحدهما .

اقترب منها ، فاحمر خداها ، وانتقلت العدوي إليه ..

ظلا على صمتهما .. يسمعان صوت تردد أنفاسهما .

ووشى تبادل النظرات بينهما بانتفاء الإحساس بوحدتهما ، وبعجزهما عن أية حميمية .

نبت فى قلبها فجأة التماس عذر لأمها . فهي امرأة مثلها وتستشعر حالتها ، لكن كيف تُفهم العجوز أنها بعدم تخليها عنه، تشعر بالرضا .

وتمثلت أمامها عينى أمها الضيقتين ، اللائمتين ، فتمتمت فى خاطرها : شقية بانتظاره .. استرحت ؟!

عادتا بعد الزفة ..

وقبل أن تنهمر دموع أمها ، وقد أصبحتا وحيدتين ، أسرعت إلى حجرتها .. هل وصل العروسان إلى شقتهما ، أم مازالت العربات المزدانة بالزهور والمصابيح الكهربية الملونة ، تجوب الشوارع، خاصة شارع النيل ، مرة تلو أخرى . هل أغلقا بابهما خلفهما ، أم مازال بعض السخفاء ينتظرون .. ينتظرون ماذا ..

لقد بادرتا بترك الموكب لتشجعا آخرين على ذلك .

تطلعت فادية إلى ساعتها ، تأخر الوقت .. هل خلعت عروس شقيقها الطرحة أم مازالت ذائبة في خجلها .. خائفة .. ومتمنعة.. لاشك أن فترة خطوبتهما .. أتاحت لها فرصة للتعارف سوف تساعدها على اجتياز تلك اللحظات المتوترة إلى بر السعادة .

رأته عدة مرات فى الاجتماعات .. ومرة سمعته يرد على محدثه :

ارجع إلى المجلد كذا من الأعمال الكاملة للينين ، صفحة كذا..

لم تصدق ما سمعته وهو الذى كان يتعثر فى الكلام من قبل .

ومرة أخرى طال الجدل مع أحدهم ، فأسرع بالقول :

كتاب كذا لستالين صفحة كذا ، الفقرة الأخيرة .

التقته بعد الاجتماع وسألته فى دهشة :

- كيف تتذكر بهذه الدقة .. ؟!

أتاها صوته هادئاً ، وقد انسابت ابتسامة :

- يروح يبحث ..

وعلت ضحكته ، فتجاوبت معه فى فتور .. ورمقته بنظرة لائمة ، فقال :

- جدلهم لا ينتهي.. فماذا أفعل .. !!

انطلقت ضحكتهما ، صافية ، هذه المرة .. ولم يمض وقت طويل حتى طلب يدها .

ترددت ..

هل به عيب يا بنت الناس .. زميل وسوف يتفهم ويقدر .. وسيعاملك كإنسانة مساوية له ..

ولكني لا أملك شيئا .. أبى توفاه الله .. ومعاشه بعد عمله فى التعليم الإلزامي لا يكفى حاجة أمي. وشقيقى يدبر أموره بالعافية..

والظروف غير مواتية .. بعض التنظيمات أصدرت منشورات ، تصف سلطة ضباط يوليو بالديكتاتورية العسكرية ، وجاء جوابهم سريعا .بعض قضايا ألقوا أصحابها فى السجن الحربى ..

سهل لها الأمر .. زميل صديق سيوفر لنا حجرة فى شقته الواسعة .. وعندما تهدأ الأمور

نشتري بعض الأثاث ، ونبحث عن شقة ملائمة .

وفى بيت الصديق ، حيث الاجتماعات لا تهدأ ، والزوار لا ينقطعون ، مارسا حياتهما الخاصة على عجل ، وفى تكتم كأنهما يسرقان . وكانت دائما مكسوفة ، لا تستطيع أن تخرج من حجرتها إلى الحمام بقميص النوم .

وعندما ذهبت إلى شقتها ، كان زوجها لا ينام إلا بعد أن يلقى نظرة على محتويات الشقة ، فإذا تصادف ووجد منشورات أو نشرات لمختلف التنظيمات ، وضعها فى كيس بلاستيكي ، ودسها فى صفيحة القمامة أمام باب الشقة ، حتى الصباح .

ولم يصغ إلي قولها أن تنظيمهما يؤيد الحكومة . وكان مما ضايقها أن تدخل إلى دورة المياه فتجدها معبأة برائحة التبغ ، ورماده منثور على الأرض . وتبحث عن الجريدة أو المجلة .. وأخيرا تجدها مدسوسة خلف صندوق الطرد ، فتسلتها مشمأنطة .. وأحيانا تعاف قراءتها ، وتلقى بها فى صفيحة القمامة .

ومرة تأخرت فى أحد الاجتماعات ، وعند عودتها وجدت رصة أطباق وأوعية دون غسيل فى حوض حنفية المطبخ، انفجرت .. فلم يزد عن :

- كنت مشغولاً .

كظمت غيظها ، فهي تعلم أنه كان مستريحا فى البيت طوال النهار .

وذات يوم حضر صديق تعزه ، فاحتضنته وقبلته على وجنتيه . وبعد انصرافه ، قال بلهجة ساخرة :

- ألن تكفى عن هذه المبوسة .

تطلعت إليه كأنها تراه لأول مرة .. سبحان الله فى أمزك يامحمود يا فرحات ، وكأنك لم ترنى أبداً أفعل ذلك . تحاشت الرد وخففت من غلوائها ملقية على الأيام مسئولية اعتياده لطباعها ، وتغييره بعض عاداته. لكن الأيام لم تمهلها ، فقد قُبض عليه .

(٨)

طرقعت قبلات فادية على خديّ رجاء الشاحبين المشوبين بالاحمرار ، وبادلتها قبلاتها على خدين بيضاوين ، كأنما قُدا من السكر . أوسعت فادية لها لتدخل ، وهي تقول :

- أوحشتيني يا مضروبة .

طالعتها رجاء بنظراتها التى تتشكل بسرعة عجيبة أثناء الكلام، فتعبر عن الخجل والحب وغير قليل من النزق والتعاطف .

- كنت سألت عني .

- تركتك تهنئين برشاد

تصعبت رجاء بشفتيها ، لكن فادية لم تلق بالاً إليها وقالت :

- اسكتى لما أضحكك ..

قرنت رجاء مابين حاجبيها ، فانتقش شعرهما الخفيف كالزغب .

- جاءنى عريس ..

انفجرت رجاء ضاحكة ، مطوحة رأسها إلى الخلف ، فبانت أكثر خفة دمها وحلاوة روحها . ومدت يدها تتحسس عقصة شعرها .

- رجل موجوع فى قلبه يريد خطبتي .

ردت رجاء بصوت ساخر ، وهي تلوح بيديها ، كالمعددة فى المآتم:

- يا خراااابى ..

وفى خبث مشبع باهتمام مفاجئ :

- وماذا قلت له .. ؟!

- عمي فى عينك ..

- والنبى خائبة .. وستعيشين طول عمرك خائبة ..

وناولتها جواباً من محمود أحضره رشاد ..

فضته فادية ، وجرت عيناها بسرعة على سطوره .. وركنته فى جانب لتقرأه على مهل عندما تختلى بنفسها . وذهبت إلى المطبخ لتصنع ما تشربانه ، سارت رجاء فى أثرها وهي تقول:

- سمعت أن محموداً له عم على خلق ، ويُقال أنه تقدمي .

التقيته ، وعشمت نفسى ولو بكلفة السفر إلى الواحات ..

ومصمصت بشفتيها ، فأكملت رجاء :

- رجعت وقفاك يقمر..

قاطعتها فادية :

- لك حق تسخرين .. " جوزك طلع " .. وهايصة ..

جوز جزمة " بعيد عنك.

يا بنت يا مكاره ..

نسيت أنى أنثى ..

ضحكت فادية .. وهي تصب القهوة ، وسألتها إن كانت تريد أن تغير ريقها بشئ . لوحت رجاء بيدها نفيا وقالت :

- وبسلامته طالع فى مقدر جديد .. لا يأتى إلا وش الفجر .. ورائحة الخمرة تفوح من فمه .

قطبت فادية جبينها ، وتأملتها غير مصدقة ..

- لينسى فترة السجن .. !؟

- أكلمه .. يقول لى الغلطة الوحيدة التى فعلتها فى حياتي أنى جعلتك تنتظرينني.

نشعت عيناها بالدمع ، وحطت فنجانها على ترابيزة أمامها وقالت فى صوت ينشّع بالأسى:

- مصيبة وحطت فوق دماغي .. أين أذهب بطفلى .. !؟

طيبت فادية خاطرها بكلمتين ، وإن كان قلبها يتقطع ..

نهضت رجاء لتلحق بآخر باص قبل أن يحط الظلام .. احتضنتها فادية وهي تصبرها .. على الأقل من أجل ابنها .. -

وما أن غادرتها ، حتى أسرعت إلى جواب زوجها .

(٩)

انتصف الليل ، وجافاها النوم ..

تلوك كلمات رجاء .. نسيت أني أنثى ..

هل اعتادت المرأة بداخلها الاستكانة ، وأصيب جسدها بالبرود..

احست بضيق ، وبجو الغرفة خانقاً .. فتحت نافذة شرفتها فى الدور الثالث . أطلت على حوش المدرسة المجاورة .. أشجار الكافور الباسقة دون حركة .. حوضان من الزهور والنعناع . لمحت بعض القطط تقفز من فوق السور .. تتشمم أوراق النعناع .. وتتمرغ على الأرضية المعشوشبة .. تغمرها أشعة قمر على وشك الاكتمال .

احست بالعطش . فى طريقها إلى المطبخ ، سمعت شخير أمها . عدلت رأسها على مخدتها . تأملتها فى نومها ، صعبت عليها ، وهي التى شاطت منها فى الصباح .

حضر وجدي مبكراً ،ومعه جرائد الصباح وبعض المجلات ، لتلقى نظرة عليها ، أو لتحتفظ بما تريد ، قبل أن يقوم بتوزيعها على صديقاتها من نسوة الحي ، أومأت إليه ، أنها ستقرؤها بعد جمعها فى المساء .

هم بالانصراف ، فنهضت إلى حقيبتها . حاول وجدي إرجاء الدفع لآخر الأسبوع .. رفضت فهي تقدر ظروفه . خريج المعهد التجاري العالى ، ولما طالت بطالته ، التحق بعيادة شعبية قريبة ، يحصل ثمن الكشف من المرضى .

نقدته المال ، ورجته أن يرسل لها فتاة من العيادة لحقنها ، بمضاد حيوى لأنها مصابة بدمل لا يريد أن ينصرف .

ضحك وجدي وقال :

- ممرضة .. وأنا موجود .

نظرت إليه فى دهشة .

- اقضى أغلب يومي فى عيادة ولا أتعلم .

ضحكت وقالت :

- ليس لوجه الله ..

وكورت بيديها ما يعني مؤخرات النساء .

- أبدا .. لزيادة الدخل .

- على ماما .. ؟!

استأذن وجدي حتى لا يتأخر . وكانت فادية تعلم بحزم الممرض صاحب العيادة ، الذى يعمل من صباح ربنا حتى المساء مع فتاتين عنده فى الحقن والغيارات فى العيادة وفى المنازل ، ويستأجر أطباءً من مختلف التخصصات ، لقاء نسبة من أجر الكشف .

أحضرت أمها الشاي ، فقالت :

- نشرب الشاي معاً ..

- حتى يبرد .. لا تخافى .. يدي خفيفة .

دخلا غرفتها .. أغلقت الباب بالمفتاح .. وترددت بينما يملأ المحقن .. هل تكشف ذراعها أم إليتها ..

خبط على الباب ..

- الشاى برد .

- حاضر يا أمى

نظرت إلى وجدي .. وقد احمر وجهها .

كان قد عبأ المحقن واستعد بقطنة للتطهير ، وهي لم تصل إلى قرار .

خبط على الباب فى عصبية :

- قلنا الشاى برد .

انتقلت العصبية إليها وهي ترد :

- حاضر .. حاضر

جلست على حافة السرير ، وقد كشفت عن ذراعها . اقترب وجدي بجذعه منها. تلاقت

العيون .. زاغت ببصرها ..

خبط على الباب .

الإبرة ستتكسر ..

عادت ببصرها إليه .

العضلة مخشبة

ضغط بسبابة وإبهام يسراه ، مباعداً بينهما ليشد جلد ذراعها ، قبل أن يغرز الإبرة . مرت الثواني بطيئة .. نهضت مضطربة .

جذبت كرسيا إلى الشرفة ، وجلست ..

كانت القطط ما زالت تتشمم ورق النعناع .. والذكور تلاحق الإناث ..

وعريد فى رأسها ما قالته رجاء عن زوجها .. غلطتى انى جعلتك تنتظريننى ..

هل يتكرر نفس الموقف معي ..

لا .. لا .. ليس معقولاً .. زوجي شكل ثانٍ ..

هل يكون نوعا وحده دون باقى الرجال ؟!

(١٠)

علا صوت أجش :

- اعتبر هذا وعداً بزيارتك ياماما
- تحت أمرك .
- أنت عارفة زوجتى .. أقلها كلمة منك تعقلها .
- على عيني حاضر .

انصرف الرجل والتفتت فادية إلى حسن .. نحيف داكن البشرة ، بصلعة فى مقدمة رأسه. انحنى عندما تكلم ، لإحساسه بطول قامته:

- شكراً على الكمكة .
- حمدا لله على السلامة .

وصاح الحضور من الشباب :

- الشاي سيبرد
- بطلوا إمارة

سحب الجميع ناعماً ..

- وهل نقدر ..

أشـارت إلى المائـدة وسـط الصـالة ، وقـد انسـحبت أمهـا إلى حجرتهـا. وتأملـت الرسـم الكاريكاتورى الذى أحضره حسن .

فى الخيمة ، جاء أحد الرسـامين المتقلين ، ومعـه ورقـة وقلـم. وشى وجـه محمـود ، بعدم ترحيبه ، فالوقت محدود ، ويود الحديث مع زوجته . رد عليه الرسام .. " اسـكتش " سـريع ، وسأكمل الرسم فيما بعد .

وافـق علـى مضـض ، وناولـه سيجارتين . ومـال إلى زوجتـه قـائلا : يرسـم وجـوه الـزملاء ، الواحد بسيجارة . لكـن هـذا انتهـز فرصـة السـخاء المفـاجئ ، وطلب المزيـد ، مـدعياً أن وجـه زوجته صعب ، ويحتاج لمجهود . أسرع رشاد وأعطاه سيجارتين وهو يوصيه بزيادة الألوان .

أزاحت فادية طبقها ، دون أن تتناول شيئاً يذكر .. الرسم باللون الأسود حقـا معبر ، وإن كان قد بالغ فى تقاطيع وجهها ..

انتهوا من شرب الشاي ، وقام أحدهم ليرفع ما على المائدة ، ونهض آخر ليغسل الأطباق .

قال حسن :

- أبشرى ..

نظرت إليه ضاحكة :

- ليست وراءكم بشرى أبدا ..

ضحكوا جميعا .. وقال حسن :

- رصفوا الطريق من أسيوط إلى الواحات ..

علق أحدهم :

- نُشكر حكومة الثورة .

طاف بخاطرها القطار الذى كانت تستقله من " المواصلة " حتى الواحات .. يشبه قطـار الدلتا أيام زمان .. بعرباته الصغيرة المتراقصة .. يسير على مهل .. وفى منتصف الطريق ، مسافة على حافة الجبل .. كانوا يعبرونها وأرواحهم فى حلوقهم .. حانت منها مرة نظرة إلى أسفل .. هوّ .. انخلع قلبها وسحبت نظرهـا بسـرعة حتى لا تدوخ .. وعندما استمعت لحكايات الركـاب .. هلعت أكثر .. فكثيرا مـا هـوى هـذا القطـار إلى أسـفل .. فكـان الـذاهب إذا وصـل حمـد الله على نجاته .. والعائد يبارك له الناس عودته سالماً .

خبط على الباب ..

مـا إن رأت القـادم ، ولحظـت عـوده الفـارع العـريض مثـل وجـدي ، وشـعره المسترسـل إلى الخلف مثله ، حتى انقبض قلبها .

افسحت له الطريق وهي تقول :

- أهلا وسهلا ..

وصح ما توقعته . طمأنت الرجل أن ستذهب من ساعتها إلى محام صديق سيتولى القضية ، وألا يحمل هماً ..

ناولها ورقة مكرمشة وقال :

- فى جيب بنطلونه فى الغسيل .

فردتها بحرص ، خشية أن تتفتت ، وحين تمكنت من التقاط بعض الكلمات ، أدركت أنها ما أخذه وجدي على قانون الإصلاح الزراعي . حيث جعل من المتعذر إخراج المزارع من الأرض التى يستأجرها ، مساويا بين المؤجر من المالك الكبير والمؤجر من الفلاح الذى لايملك سوى فدان أو اثنين .

ودعته ، وأخذت تلوم نفسها .. هل تسرعت بإشراكه فى توزيع المنشورات ، دون أن تتيقن من إدراكه جيدا لقواعد الأمان .. فلا يدسها من تحت أبواب المحال ، قبل أن يتأكد من خلو الشارع من المارة ، وألا يعطيها لأي تلميذ ، ليضعها فى الأدراج مبكرا ، والأفضل أن يفعل ذلك بنفسه .

هل عداها حماسه الزائد فتساهلت .. أم أن هذا الحماس جعله يسلك برعونة جذبت إليه عيون المخبرين .

أغلقت الباب .

تطلع إليها ضيوفها .

زمت شفتيها الرقيقتين وقالت :

- قبضوا على وجدي .

(١١)

وقفت رجاء ترقب المارة من نافذة حجرتها ..

هؤلاء الناس يغدون ويروحون .. لا أحد يلتفت إلى الطنين الدائر فى رأسها .

ابتسمت خجلى ، وهي تتسحب .. كيف يعرف الناس أن مخي يضطرب بالأفكار .. هل تظهر على رأس الإنسان علامة واحدة ..؟!

وضحكت .. ليت الأمر كان كذلك .. وما أدراك أن هؤلاء الناس، الذين لا يظهر شئ على وجوههم ، لا تموج عقولهم بشتى المشاكل .

نفضت عن جسدها كسل الصباح ، وأخذت ترتب السرير .

فجأة تسمرت يداها وهما مرفوعتان .. أستطيع ان أطلب الطلاق .

أنزلت يديها تكمل طيّ اللحاف . ماذا سيقولون عني .. وضعت اللحاف في مكانه من السرير ، وجلست على حافته .. بالأمس زار زوجها بعض عمال النسيج من شبرا الخيمة .. اشتكوا من فصل أصحاب المصانع لهم قبل مضى ستة أشهر ، مدة الاختبار التى حددها القانون قبل التثبيت . ويأتون بغيرهم .. وهكذا لا يداوم أحد ولا ترتفع أجرته .. ولا تُسدد عنه أية تأمينات .

- اذهبوا إلى النقابة ..
- مخترقة ..
- ...

اكتب لنا مذكرة نعرضها على أحد المسئولين .

دلهم على أحد المحامين ، واعتذر عن مرافقتهم .

بعد انصرافهم ، طالعته رجاء بوجه جامد .

- هل أكافح لهم ..

لوت شفتيها .

- امرأة عجيبة .. كنت تتمنين لو أكف ..

أولته ظهرها ، وحارت في أمره وأمرها ..

زحفت تحت السرير ، تكنس التراب ، جمعته في جاروف بلاستيكي . نصبت قامتها ، أحست بالتراب عالقا برموشها . اتجهت إلى الحنفية وصبت الماء البارد على وجهها . نشفت ، وجلست أمام المرآة تضع زينتها ..

اشتكت لأحد أصدقائه ، من زملائه في التنظيم ، كانت تثق به ، وإذا به يلمح أن تتخذ لنفسها صديقاً . ومن هذا الصديق ..؟! سيادته إن شاء الله .

وأظل أمام الناس واقفة إلى جواره .. من بره هلا هلله .. ومن جوه يعلم الله .. !!

نهضت عن المرآة ، التمست بعض العذر لزوجها .. فحتى الآن ترفض وزارة الصحة رجوعه إلى عمله بها .. وها قد مر ما يقرب من عام .. والمدخر الذى كان حيلتها أنفقته أثناء سجنه ..

استحثته على الالتحاق بعيادة شعبية . قال :

- أعمل بالنفر .. !!
- للضرورة أحكام .

صمت فأدركت أنه يفكر .. وشجعها ذلك على القول :

- كوب من الشاى يروق دماغك .

آنست عدم اعتراضه ، فأسرعت تعده ، وأضافت إليه بعض النعناع .

ما كاد يرشف حتى بصق الرشفة ، ونظر إليها ساخطاً .

أدركت ما حدث ، فهي لم تستخدم النعناع من زمن ، أسرعت تتشمم مافي العلبة ، فطالعتها رائحته الزنخة .

(١٢)

استيقظت فادية على ضجيج وجلبة . أسرعت إلى الشرفة ..

في حوش المدرسة آلة حفر أساس ، وجرار هرس زرع الحوضين ، وانطرحت شجرتا كافور أرضاً .. آه سيبدأون إقامة الفصول .

كان هذا متوقعا من عدة أيام ، عندما جاء عمال بناء ومعهم معاول وأخشاب تستخدم في صب الخرسانة .. ووصلت عربات محملة بالزلط والأسمنت . ساعتها علقت الأم أنهم سيستريحون من دوشة الأولاد الذي يلعبون في الحوش ، واكتفت فادية بالتطلع إليها ، في غيظ مكتوم .

واربت باب الشرفة ، وأطلت على حجرة الأم . ما تزال نائمة .. يا بختك .. وانتهزت الفرصة لتكتب رسالتها .

أحضرت كوبا ملأته إلى نصفه بالماء ، وبعض النشا . دخلت إلى حجرتها وأغلقتها من الداخل . وضعت النشا في الماء وحركت بملعقة حتى أصبح السائل كاللبن الحليب . غمست فيه سن قلم من البوص ، وكتبت عدة عبارات على ورقة بيضاء .. انتظرت حتى جفت .. رفعت الورقة أمام عينيها .. لم تلحظ أثراً للكتابة على الورقة .. وارادت أن تطمئن أن كلماتها مقروءة . بللت قطنة بصبغة يود ومررتها على الكتابة فظهرت بوضوح . كرمشت الورقة ووضعتها جانبا .

استلت ورقة أخرى ، وشرعت في الكتابة ..

رفعت رأسها بعد قليل. هل تكتب عما حدث لحسن منذ أيام.. أم يُعد ذلك من سفاسف الأمور ..

كانت قد كلفت حسن بالذهاب إلى بعض الأصدقاء من التجار ، ومن أقرباء المعتقلين والسجناء لجمع التبرعات .. وكذا لبعض العاطفين ، وبعضهم كان عضوا بالتنظيم .

وحين ذهب للصائغ نبيل بانوب ازور بوجهه عنه . تحامل حسن على نفسه وأبلغه بسبب مجيئه ، فأعطاه . ظنته فاديه يبالغ ، فأخبرها ما لحظه من نظرات غير مرحبة من قريب له يعمل عنده .

طقست فادية فى الأمر. وصلت إلى سمعها شائعة أن حسن عميل للأمن .

من أين أتت هذه الشائعة .. ؟!

قريب بانوب المعتقل أرسل يحذره منه .

تفكرت فادية ..

حسن منذ خروجه ، لم يكف عن إرسال خطابات لأصدقائه من السجناء والمعتقلين ، وبها أخبار ذويهم بالخارج . وعلمت من إحدي الرسائل السرية ، أن السجناء يتلهفون على قراءة هذه الرسائل لمعرفة الأخبار ، وطلبوا منها أن تطالبه بالحد منها ، حتى لا تضايقه المباحث .

ولما كان من يُفرج عنه ، عادة ، يعطي ظهره للسجن ومن فيه ، فقد لفت الانتباه ما قام به حسن ، وكذا توقيعه على رسائله دون خوف .. فلابد أنه يعمل مع الأمن . لاشك أن الشائعة انبثقت من هنا ..

ويكفى أن تخبرهم أنها أرسلت جزءً من التبرعات للدكتور رشاد ، الذى اتفق مع مجموعة من الأطباء على فتح عيادة بعد أن دبر له الزملاء شقة فى القاهرة فى حى شعبى . لا .. لابد أن تكتب لهم بما حدث ليكبحوا جماح هذه الشائعة .

وفكرت أن تأخذ جزءً من التبرعات .يعوزها شراء حُقن وفيتامينات لوالدتها المريضة بالسكرى .. وأخوها منذ زواجه كف يده عن مساعدتهما .

إذا فعلت ، فلابد أن أخبر مسئولى فى التنظيم ، وساعتها لابد من عرض حالىعليهم .. خجلت من الأمر ..

يا ستى .. بائع السم يتذوقه .. مبلغ بسيط يسد حاجتك ولا من شاف ولا من دري .. وتردينه حين ميسرة .. ولكن " ميسرة " لا يأتي أبداً.

طرق على الباب الخارجي ..

أخفت الرسالة والكوب .

زوجة أحد المعتقلين ، أحضرت بعض الملابس تود إرسالها لزوجها . طمأنتها أنها سترسلها مع أول زائر للواحات .

بعد انصرافها فتحت الطرد ، خشية أن يكون فيه ما يؤذى حامله عند التفتيش فى مدخل السجن . رسالة مطوية .. حارت .. هل تقرأها كما تقضى قواعد الأمان ، أم أنها بهذا تخدش خصوصية آخرين .

غلبت قواعد الأمان ، وهي تئد تبكيت نفسها .

أخبار عن الأسرة .. وتحيات وسلامات من الأهل .. إلى أن وصلت لحديثها عن طفلهما :

لأ يا ستي .. لازم أخر بتك (مازال يخرج لسانه فى السين ويحول الشين إلى ثاء) وينظر

إليَّ بعينيه الماكرتين اللتين تدوران بسرعة عيني فأر .. ويبتسم بخبث طفولي ويقول : تحربثيني انت وتشترى لى لبان . انفجرت ضاحكة وقلت : لأ يا سيدي اللبان بيلزق فى شعرك وهدومك .غضب وخربشني بجد ، ناشباً أظفاره الصغيرة فى ماخيرى (هكذا ينطق مناخيرى) .

أبعدت الرسالة عن عينيها ..

هل يصح أن تكتب هذا الكلام لزوجها .. ألا يتعبه ويجعله فى شوق لابنه .

عاودت القراءة .. بعد قليل توقفت .

هل تفصح عن عواطفها ، غير ملقية بالاً إلى ضابط سوف يقرأ الرسالة قبل أن تصل إلى صاحبها .

لو حسبوا سنة سجنه بتسعة أشهر مثل اللصوص وتجار الدعارة، كما كانوا يفعلون قبل الثورة لكان زوجي امامي الآن ، ولو أفرجت الثورة فى عيدها فى ٢٣ يوليو عمن أمضى نصف المدة منهم ، كما تفعل مع كل أصناف المجرمين لكان معي من زمن. فالحون زملاؤنا طبعوا فى مطبعة تنظيمهم ، منشورات تنظيم الضباط الأحرار . وفكرت أن تبث شيئا من مكنون نفسها على الوجه التالى من الرسالة السرية ، الذى تكتبه بقلم جاف ، بدلا من كلماتها التى تحرص الا تجذب انتباه أحد ، عن الصحة والأحوال.

لا .. لن أفعل حتى لا تُعرض مشاعرى على الملأ .

أصوات فى المطبخ .. ابتسمت،وهي تتلقى رسالة أمها بتناول الفطور . طوت ما فى يدها ، وذهبت إليها .

طرق على الباب .. امتعض وجه أمها .. تجاهلتها وقامت تفتح..

حسن ومعه شقيقة وجدي .

سبق أن طلبت منه الذهاب إليها لتوقع طلباً جهزته باسمها لمأمور سجن شقيقها ، ليرتدى الملابس المدنية ، مادام تحت التحقيق ، وكلفت حسن بشراء بعض الغيارات الداخلية لترسلها له. وكتبت رسالة ، دستها فى صابونة خرمتها ، وأعادتها كما كانت وغلفتها . طمأنته فيها على حال أسرته ، واعتذرت لعدم تمكنها من إرسال طعام يومياً ، ولكنها سوف تفعل مرة فى الأسبوع على الأقل ، ليرم عظمه ، وتضاحكت معه، بشأن ما سمعته عن سجنه الانفرادي، حتى لا يختلط بباقى السجناء ، ولعله الآن فى حاجة لمن يرغي معه ، هو الذى كثيراً ما اشتكي منها لأن الذى تقوله تعيده . وأرفقت مع الصابونة زجاجة عطر وفرشة ومعجون أسنان .

رحبت وهي تصيح :

- الشاي يا أمي .

دخلا يسبقهما طفل وطفلة فى خطوات متعثرة ، خمنت فادية أنهما طفلا الشقيقة .

احتضنت الطفلة وهي تدغدغها فى بطنها ، وكلما حاولت الفرار ، أمسكتها واحتضنتها . وتنبهت للطفل الخجول فجذبته إليها .

جاءت أمها بصينية الشاى ، ووقفت بباب الحجرة .

أجلست فادية الطفلين على فخذيها ، وضمتهما إلى صدرها ، وقد انحنت قليلا ، كأنها ستلقمهما حلمتيها. وضعت الأم الصينية على ترابيزة أمامها وأسرعت إلى المطبخ .

(١٣)

اليوم ستعقد جلسة فى محكمة مصر بباب الخلق لمحاكمة بعض الزملاء .

وكُلفت فادية بالاتصال بنساء المعتقلين ، والسجناء بسجن القناطر الخيرية ، للحضور إلى قاعة المحكمة ، للاحتجاج على المعاملة التى يلقاها ذووهم ، والتى بسببها أضربوا عن الطعام ، حتى تستجيب الإدارة لمطالبهم وبعضهم أشرف على الموت . ومازالت إدارة السجن تمنع عنهم الجرائد والمجلات والإذاعة ، وتتركهم يقضون النهار فى زنزاناتهم ، حفاة على أرضية مسفلتة ، ولا تعطيهم الأبراش والبطاطين إلا عند النوم . وحرمتهم من الملابس الداخلية، رغم البرد الشديد ، ولا تسمح للمرضى بالذهاب إلى المستشفى . ونوه أحد المحامين بالمعاملة التى كان يلقاها المعتقلون السياسيون من قبل . كانوايودعون فى سجن الأجانب . وينامون على أسرة ، ويتناولون طعامهم عن طريق متعهد . أمر القاضى بإخلاء القاعة ، وأن تتم المحاكمة فى غرفة المداولة .

وعلى باب المحكمة سارت النساء ، تحف بهن جموع الناس .. وسرعان ما كانت مظاهرة ، تتساب فى شارع القلعة ، وقد علت الهتافات ، مطالبة بالديمقراطية .

وتعرضت المسيرة لشد وجذب ، وارتخاء وازدحام .. وقد انضم إليها بعض الطلبة ممن تصادف مرورهم ، وعمال المحال التى يمرون بها ..

توقفت المظاهرة عند شارع ٢٦ يوليو ..

الحواجز منصوبة .. وعساكر الأمن المركزي يتقدمون نحوهم..الهراوات فى يمناهم .. والدروع الفولاذية فى يسراهم .

هرج .. وارتخاء .. وتدافع .

امسكت رجاء فادية من يدها ، وأسرعتا إلى شارع الجمهورية .. وعند تمثال إبراهيم باشا أشارتا إلى سائق عربة أجرة ، فرفض التوقف . عبرتا سياجا حديديا قصيرا ، يحيط بأرض

معشوشبة حول قاعدة التمثال وجلستا.. وعندما لحظتا عودة الهدوء إلى الشارع ، نهضتا وسارتا باتجاه ميدان رمسيس ، أفلتت ضحكة من فادية . تطلعت إليها رجاء ، فقالت :

- كل مرة أنجو أقول فى نفسى أنا مدينة للحكومة بثلاث سنوات سجناً .

ضحكت رجاء وقالت :

- وكم بلغ الرصيد .. ؟!

- لا تعدي .. !!

عزمت عليها رجاء أن تتغدي عندها ، وبالمرة تسلم على رشاد ، فهو فى شوق لرؤيتها . ونصحتها بعدم الذهاب إلى شقتها إذا كانت تفكر فى ذلك ، فهي ليست آمنة ، اليوم على الأقل .

انفجرت فادية ضاحكة :

- وشقتك آمنة .. ؟!

استرسلتا فى الضحك ..

والتفتتا إلى الخلف ، على نداء ..

وحين رأيتا المنادية ، صاحتا فى دهشة :

- ألفت .. !!

تبادلن القبلات على وجناتهن ، وقالت فادية كأنها لم تغب عنها يوما :

- كيف حالك يا مقصوفة الرقبة .

- أوحشنى لسانك الذى ينقط سكرا .

تأملتها رجاء ..

لا توجد رائحة للرشاقة القديمة .. أخذ ردفها كل الحرية فى النمو ، ووازنت ذلك بطن لابأس بها .. واختفت ميزة صدرها الناهض .. وعيناها الجميلتان المرحتان .. حقا بقى ظل مما كان .. لكن نظراتهما خالية من المرح .

قالت رجاء :

- ما الذى عملتيه فى نفسك .

ردت :

- زواج .. وحمل .. وعيال .. وقرف

ولتغير دفة الحديث :

- من الذى لم الشامية على المغربية ..

قالتا فى مرح :

-   مظاهرة .. !!

رمقت ألفت رجاء ، وعلقت :

-   كالعادة .

فرجاء التى كانت مقربة منها أيام الجامعة ، وحاولت مراراً ضمها للتنظيم دون جدوي ، اكتفت فقط بالمشاركة فى اعتصام .. مظاهرة .. مجلة حائط .

وقالت فادية لألفت :

-   سندعوك المرة القادمة ..

وضحكت .. فألفت استقالت بعد زواجها وكانت تتهرب ، كلما قابلت زميلاً سابقاً فى التنظيم.. وظلت زمنا لا تصدق أنها ألفت التى كانت شعلة من الحماس . يوم أمم عبد الناصر قناة السويس .. جمعت أصدقاءها وصديقاتها فى بيتها لسماع الخطاب .. وكانوا يرقصون وقد وُجهت لطمة لأمريكا بعد سحبها لتمويل السد العالى .. وفى اليوم التالى كانت على رأس مظاهرة فى وسط البلد .. وفى المساء وزعت منشورا يؤيد ما حدث. وسألتها :

-   مبسوطة .. !؟

اختلطت العبارات فى ذهن ألفت ، فلم تتكلم .. وبعد برهة من صمت حرج . وضعت ذراعيها على خصريهما ، وهى تتوسطهما ، وتتجه بهما يساراً إلى الرصيف العريض لشارع رمسيس عند تقاطعه مع شارع الجمهورية . وانبثق صوتها :

-   زمان .. كانت الواحدة نفسها تتزوج .. وتخلف .. واليوم أسأل نفسى .. ماذا ينقصك يابنت .. العيال ومعي ثلاثة .. ومستورة والحمد لله وزوجي يقضى كل طلباتي ..

وابتسمت تداري خجلا ألم بها :

-   الحقيقة .. عاجزة عن التعبير .. كأنى غير عائشة .. شئ مضحك .. أليس كذلك .. كأني أؤدي واجباً غصباً عنى .. وكثيراً ما أسأل نفسى .. ماذا تريدين يا ألفت .. أحار .. ولا أعرف الإجابة .

غيرن مجري الحديث بالسؤال عن فلانة وهل مازالت تدبر المكائد.. وعن علانة وهزرها البائخ ..

سلمت عليهما على أمل بلقاء .. وحين تقدمت لمعانقة فادية اقشعر بدنها ، وقد رأت عن قرب جيدها .. خيل إليها أن جسدها محاط بقشرة زيتية شفافة .. جزعت نفسها وتمنت أن تذوب هذه القشرة قريباً .

والتفتت رجاء إلى فادية ..

-   استقر رأيك

- إلى المنصورة فورا ..

وإذا برائحة فواحة تغمر المكان ..

عربات نصف نقل تقف بجوار الرصيف ، وتنزل أقفاصاً محملة بالجوافة ، وفلاحون وفلاحات ، سبقوا إلى الأرض ، وسرعان ما فرشوا بضاعتهم على الرصيف .. تقدمت رجاء واشترت وزنتين، أعطت إحداهما لفادية وأردفت :

- منى لماما .. وطمئنيني حالما تصلين .

وسلمت ..

لفتت نظرها عربة تقف فى جانب من الرصيف ، عليها حزم من النعناع الأخضر ، ابتاعت واحدة .. وأسرعت تستقل المترو لمصر الجديدة .

(١٤)

- اصحي يا عين أمك
- كم الساعة
- الشمس وسط السماء .

تثاءبت .. وأخذت تعي أنها غطت فى نوم عميق .. وأحست بسعادة بالغة ، فهي فى بيتها ، ولم يُقبض عليها ، بعدما كان بالأمس .

كنست أرضية غرفتها ، وأمسكت بمهفة ، تزيل الغبار عن الصور المعلقة على الحائط .

توقفت عند صورة زوجها . أذناه صغيرتان كأذني قلة صغيرة للأطفال . شعره الممشط للأمام . أنفه الدقيق . ذقنه المنسجم مع وجهه المتطاول كبيضة . حاجباه غزيران ، لا تلحظ استدارتهما فوق عينين ناظرتين إلى بعيد .

إلى أين ينظر ..

أمسكت بورقة وقلم ، لتسطر رسالة له . اريد وجهها ..لا .. لن اكتب عما كان من صديقه .. الأفندي القيادي .. اقترب منها .. أحاط كتفيها بذراعه ، وجذبها إلى صدره ، كأنما ليظهر اعتزازه . تخشبت ، وحرن جسدها ، أمسك ذراعها وانتحى بها جانبا من رصيف ، وقد خفت حدة الحماس .

- أنت غير طبيعية .

رمقته فى دهشة ، فأردف :

- شاذة ..

قالها بإيقاع، له صدي ، كمن أوتي الحكمة كلها .

وهو يتخلى عن ذراعها ، هم بتقبيلها ، على وجنتيها ، موحياً أنه سيغادر .. وقد وشت نظراته أنه بتقبيلها يتواضع ويتبسط .

انشقت المظاهرة عن رجاء .. تأبطت ذراعها وسارت بها ..

تطلعت إليها بامتنان ، بخلت به على زوجها محمود .. عندما غادرت خيمته فى الواحات ، هم أحدهم بتقبيلها على وجنتيها . جذبها محمود إليه ، مفوتاً على الزميل غرضه ، وقال ضاحكا :

- غاوي "بوس" ..

نظرت إليه فى تساؤل ، فاستمر :

- أنام فى الخيمة التى أمام خيمته ، كان كلما لقيني ، أخذنى فى حضنه وقبلني ، كأنه لم يرني من شهور . فى البداية خجلت .. وبعدها صددته .

. هل تكتب له عما حدث ليعرف ما تمر به ، أم أنها بذلك تسبب له الغم والكدر وهو لاينقصه منهما شئ فى سجنه . كما أنها لاتريد أن يعرف من سيطلع على الرسالة من الأمن أمراً كهذا .

هل يكون إحجام رجاء عن الكتابة إلى زوجها عن حياتها ، هو سر الخلاف بينهما ، خمس سنوات فى السجن ، جعلت كلاً منهما ينمو فى ناحية ، فلما تقابلا تعذر التفاهم .

تطلعت إلى الصورة ..

لحظت ابتسامته الماكرة .. تلك الابتسامة التى لا يلحظها محدثه، عندما يلتقيه أول مرة ، وهو يقول :

- تقابلنا من قبل .. ؟!

يحدق فيه الزميل الجديد فى دهشة ، فيتابع محمود :

- وجهك ليس غريبا علىّ

يقع الزميل فى الفخ ، ويسرد له مواقف من حياته ، يحتمل أن يكونا قد التقيا فى أحدها .

وهكذا يعرف عنه ، ويدعم صداقته به .

كانت تراقب الموقف ، وهي متأكدة أن زوجها لم يره مطلقاً من قبل .

ترى .. هل مازال يمارس هذا الخداع .. أم أن السجن له أحواله ..

الأم تدير مؤشر الراديو .. أصوات مختلطة .. وخرفشة وأنغام .. فجأة صاحت فادية :

- انتظرى .

ضبطت الأم المؤشر على ما لاح لها أنها تريده .

انسابت أغنية محمد فوزي وليلى مراد .. شحات الغرام .

فوزي يستجدي موعداً .. وليلى ترده بلطف وظرف : اسرح .. روح .

وعجبت من نفسها ، كيف كانت تستثقل ظل فوزي .. !؟

ستبدأ بخواطرها عن هذه الأغنية .. ولم لا ..

سمعتها أول مرة ، عندما كانت تقيم مع أخيها ، حين كان طالباً بجامعة القاهرة .

ووقتها أخذت تتصفح الجرائد والمجلات ، التى يحضرها أصدقاؤه، وتصغي لدردشتهم باستغراب .

وحين وقعت عيناها على منشورات ، ظنت أخاها عضوا فى التنظيم الذى أصدرها . لكن محموداً أكد لها أنهم حاولوا معه دون جدوي .

وعندما سألها محمود : لماذا لم تكمل تعليمها ، حارت فى الإجابة ، ومازالت حائرة حتى الآن . هل أخرجوها من المدرسة الثانوية ، ولم تكد تمضى عدة شهور لتدير شئون أخيها فى غربته، أم لضيق ذات اليد فاكتفى أبوها بمواصلة أخيها تعليمه .

استعجلتها الأم لتناول الفطور .

وماذا يفيد الجواب الآن .. بعد مرور السنين .. !!

عاتبتها الأم لأنها لم تذهب لنقابة الصحفيين ، وكانت فى القاهرة بالأمس . اكتفت بالقول أن وقتها لم يسمح ، ولم تشأ أن تخبرها أنها أقلعت من زمن عن الذهاب للنقابة . فى كل مرة تذهب يحيلونها إلى الجريدة التى كان يعمل بها زوجها ، وتلك تحيلها للنقابة .. ككعب دائر دون أن تصرف أي مساعدة .. سوى مرة واحدة من النقابة ، ودمتم .

لم تكد تتناول فادية أول لقمة ، حتى دق الباب . ضحكت الأم وقالت :

- موعودة .. !

دخل حسن ..

وحاول التملص من عزومتهما ، وقال أنه سينتظر فى حجرة الجلوس ، حتى تفرغا .. أصرتا وشبت فادية ، تحضر كوبا من رف بالحائط ، فواجهته مقعدتها وقد امتلأت قليلاً . وانحسر ثوبها ، فبان قوامها المعتدل . وحين جلست قبالته لمح ثنيات بسيطة أسفل بطنها . عاوده إحساس بالذنب .. كان يراوده ولا يدرى سببه بالضبط . هل لأنه يترك نفسه — أحيانا — يتأمل جسدها ، أم لأنه برؤية جسدها يلمس مدي خضوعه وأنينه الصامت ، ويشعر بعدم استطاعته فعل شئ للتخفيف عنها .

تحاشى النظر إلى عينيها . دق قلبها بسرعة ، وقد خمنت أن شيئا قد حدث .

ثبتت فادية عليه عينيها الواسعتين ، أديمهما ناصع البياض. خفضت رأسها قليلا ،

وانتظرت فى تحفز ما سيقوله .

- حكموا على وجدي بخمس سنوات .

شهقت ..

- فى منشور يطالب بالأحزاب ويقول عاش الرئيس جمال عبد الناصر ..

ليس الموضوع عاش أو يسقط .. الموضوع أن المنشور صادر عن تنظيم .

بان من نظراتها ، عدم استيعابها للأمر ، فأردف :

- ناصر موته وسمه ، أي تنظيم ، فهو لا ينسى أن تنظيماً أتي به إلى السلطة .

حط صمت مبرح ، وغاص كل منهما فى أغوار نفسه ..

وليفض الموقف قال :

- على أي حال حسن محظوظ ..

رشقته بنظرات وشت بعد تقبلها لاستظرافه .

- بنوا عنابر بدلاً من الخيام ..

تدحرجت ضحكة رغم ما يمور داخلها من أسى ، وقالت :

- ربنا يبشرك بالخير .

المحتوى

صدر للمؤلف

قصص قصيرة

- سلامات – طبعتان . أدب الجماهير – نوفمبر ١٩٦٩ - إقليم شرق الدلتا الثقافي – يناير ١٩٩٩ .
- كراكيب –٣ طبعات –أدب الجماهير سبتمبر ١٩٧٠ وسبتمبر ١٩٨٣وفبراير ١٩٨٧.
- سجناء لكل العصور – طبعتان . أدب الجماهير . يونيو ١٩٧٧ وأكتوبر ١٩٨٧ .
- الزمن المستباح – ٣ طبعات . أدب الجماهير . مارس ١٩٧٨ وأغسطس ١٩٨٢ ومارس ١٩٨٦ .
- النيل ينبع من المقطم . مواهب . فبراير ١٩٨٥ .
- كحكة للصبى . دار النديم . يونيو ١٩٩٠ .
- حمام أم الرشراش – أدب الجماهير – يونيو ٢٠٠٦
- المشى للخلف – أدب الجماهير - يوليو ٢٠٠٧

الرواية

- شارع الخلا .٣ طبعات . أدب الجماهير . أكتوبر ١٩٦٨ وأكتوبر ١٩٧٩ وأكتوبر ١٩٩٥.
- نافذة على بحر طناح – ٣ طبعات . أدب الجماهير فبراير ١٩٧٦ – الثقافة الجديدة ١٩٧٩ – فرع الثقافة بالدقهلية مارس ١٩٩٩ .
- المحاصرون . طبعتان . أدب الجماهير . أغسطس ١٩٧٢ و ١٩٩٧ .
- رجال وجبال ورصاص . طبعتان . أدب الجماهير . يونيو ١٩٧٢ و ١٩٩٧ .
- الأسري يقيمون المتاريس . ٦ طبعات. أدب الجماهير . فبراير ١٩٧٦ ومايو ١٩٧٩ ويونيو ١٩٨٥ و سبتمبر ١٩٨٧ وديسمبر ١٩٩٥ وأكتوبر ٢٠٠١
- النصرة – طبعتان . أدب الجماهير . أكتوبر ١٩٧٧ وديسمبر ١٩٩٦.
- القرفصاء . ٣ طبعات . أدب الجماهير . مارس ١٩٧٨ وفبراير ١٩٩٢ . دار الوفاء بالإسكندرية.أغسطس ٢٠٠٠ .
- متهمون تحت الطلب . ٣ طبعات . أدب الجماهير. مايو ١٩٨١ ويناير ١٩٨٥ . وزارة الثقافة بسوريا ١٩٨٢ .
- عنقودة وسمرة– طبعتان – إقليم شرق الدلتا الثقافي – ديسمبر ١٩٩٦ . أدب الجماهير. أكتوبر ١٩٩٩ .
- الرقص علي طبول مصرية – طبعتان – ثقافة الدقهلية - ديسمبر ٢٠٠٠ – أدب الجماهير اكتوبر ٢٠٠١ .
- صهيل المحارم – إبداع الحرية – نوفمبر ٢٠٠٣ م .

المسرح :-

- الناس اللي ما معاهاش . مسرحيتان من فصل واحد . طبعتان . أدب الجماهير . أبريل ١٩٧٢ ومايو ١٩٨٤ .
- حاملات البلاليص . مسرحية في ٣ فصول . أدب الجماهير . يونيو ١٩٨٦ .
- عفوا رئيس الديوان - ٥ مسرحيات من فصل واحد . أدب الجماهير . مارس ١٩٨٧ .

* * *

- أوراق أدبية . طبعتان . أدب الجماهير . ديسمبر ١٩٨٠ . ثقافة الدقهلية - ديسمبر ١٩٩٨ .
- أوراق نقدية . إقليم شرق الدلتا الثقافي . ديسمبر ١٩٩٨ .
- المنصورة تصنع التاريخ . إبداع الحرية . يونيو ٢٠٠٢ .
- انهم يقتلون الأسرى . ابداع الحرية . اغسطس ٢٠٠٢ .
- الجمال في قصص الأطفال - ثقافة الدقهلية - مارس ٢٠٠٣
- سفر الحرب والمقاومة - إبداع الحرية - مايو ٢٠٠٥

أدب الطلائع

- حلوان شامة . قصة طويلة . ٣ طبعات . أدب الجماهير . فبراير ١٩٨٣ وأكتوبر ١٩٩١ . رؤيا بالإسكندرية مع دار أزال ببيروت تحت اسم (حكاية الأمير سيف والأميرة شامة) . فبراير ١٩٩٠ .
- أمن الذئاب . قصة طويلة . رؤيا . نوفمبر ١٩٨٨ .
- تعظيم سلام . قصص . طبعتان . أدب الجماهير . يونيو ١٩٨٩ . إقليم شرق الدلتا الثقافي . مارس ١٩٩٥.
- الأسد ينظر في المرآة . قصص . الحقيقة . فبراير ١٩٩٠ .
- شجرة الدر تتلقي الأمانة . رواية . طبعتان . أدب الجماهير . مايو ١٩٩٠ . هيئة الكتاب ١٩٩٥ .
- بنات رشد . مسرحية . هيئة الكتاب . نوفمبر ١٩٩٠ .
- تمرد رئيسة البنائين . قصص . طبعتان . أدب الجماهير . أغسطس ١٩٩١ . يافا للدراسات والأبحاث ١٩٩٢ .
- براءة مارية القبطية . قصة طويلة . أدب الجماهير . سبتمبر ١٩٩٣ .
- مجلس الملكات . قصص . قطر الندي . أغسطس ١٩٩٦ .
- زفاف تحت الماء . قصص . طبعتان . كتاب الهلال . أبريل ١٩٩٩ وتحت اسم (طيور البجع تضحك) . إقليم شرق الدلتا الثقافي . مايو ١٩٩٨ .
- النورس اللص . قصص . قطر الندي . أبريل ٢٠٠٢ .
- الشمبانزي يمص القصب . ثقافة الدقهلية . مايو ٢٠٠٢ .
- البلبل والسمكة الفضية - قصص - أدب الجماهير - يونيو ٢٠٠٥
- رشق البنات بالبلح . قصص - إقليم شرق الدلتا الثقافي - ابريل ٢٠٠٧

صدر حديثا :

ما قالته نظرتها الأولي	شعر	صابر معوض
لن أكون سبية	شعر	راندا الجندى
أين نحن وإلى أين نتجه ؟	مقالات	صبرى قنديل
إلى هذا الحد ..؟! ط٢	قصص	محمد خيرت حماد
احلام على الطريق ط٢	قصص	محمد خيرت حماد
كبر داء	شعر عامية	د. عصام زكى الغنام
هانت الأفراح	شعر عامية	سلطان البهوتي
لا عليك	شعر فصحى	عبد الناصر الجوهرى
حمام أم الرشراش	قصص	فؤاد حجازي
المهرج لا يستطيع الضحك	شعر	عبد الناصر الجوهري
أنا رغم الجراح عاشق	شعر	سلطان البهوتي
سأغني للفجر القادم	شعر	محمد يوسف بلال
عليه العوض	رواية	السعيد أحمد نجم
لن تهدرين شجونى	شعر	عبد الناصر الجوهرى
جمرات خابية	مذكرات	أحمد ماضى
لست أنا ، لكنه اسمي	رواية	أحمد ماضى
دموع النوارس	رواية	أحمد ماضى
هنا القاهرة	شعر	السعيد قنديل
الممر ط٢	قصص	احمد ماضى
هويت بحرك	شعر	جابر على شطا
قدر ومكتوب	قصص	محمد خيرت حماد
الخوف	قصص	أحمد ماضى
الكلام طالع بالغنا	شعر	سلطان البهوتي
المشى للخلف	قصص	فؤاد حجازي

تحت الطبع

أراك كظلى	شعر	سلطان البهوتى
مكلوم هده الشوق	شعر	عبد الناصر الجوهري
للنار أغنية أخيرة	شعر	عاطف الجندي
الظلام الدافئ	رواية	أحمد ماضى

